الجالس على أنف دجاجة

الجالس على أنف دجاجة

وليد هرون

قصص

تَصميم الغلاف: محمد عيد

رقم الإيداع: 2015/1991

I.S.B.N:978- 977- 6297- 343- 9

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور.

المرج الغربيّة. القاهرة.

المُدير العام: يَحيى هَاشِم

هاتف : 01144552557 - 01147633268

E-mail: daroktob1@yahoo.com

Facebook: دار اكتب للنشروالتوزيع

الطبعة الأولى . 2015م

الجالس على أنف دجاجة

وليد هرون

قصص



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى رُقية

غريب هو شعور الوحشة الذى ينشأ في قلبى بمجرد أن

أُدير ظهري لكِ .

سِنَةٌ وقليلٌ من النوم



مستلقيًا بجانب زوجته، لم يعد أمامه إلا بضع ساعات ويستيقظ من أجل عمله. لا يزال ينام متأخرًا كل يوم، يحاول مرارًا وتَكرارًا أن يغيِّر هذه العادة، ولكنه لا يستطيع. أحسّ بأن عينيه منتفختين من كثرة السهر. لم يتحدث وزوجته كالعادة، وهي تركته بلا حديثٍ علّه ينام سريعًا.

صوت (تكتكة) قادم من الصالة، فتح عينيه بسرعة ولم يتحرك. أرهف السمع ولم يسمع، أغمض عينيه وحاول النوم مجددًا، ولكن شيئًا بداخله ظلّ متحفزًا لأي صوت آخر.

الصوت جاء مرةً أخرى! عندها نهض متثاقلًا؛ بفعل خموله وأفكاره في نفس الوقت. اتجه صوب الغرفة الأخرى ودخلها بيده أولًا باحثًا عن قَابس النور الذي ضغط عليه بسرعة. لم يجد أمامه سوى الثلاجة والمكواة قابعة بجانبها، وصدر صوت التكة مرة أخرى، اقترب منها وقال ساخطًا: مكواة تعبانة خربانة!

أخرجها ووضعها في الشُّرفة وأغلقَ باب الشباك عليها، وعاد لينام مكانه، ولكنه لم يستطع العودة والنوم بهدوء. ظلّ مستيقظًا، أصبح التحفز متربصًا على رؤوس خلاياه، أحسّ بصوت عقرب الساعة يكاد يقتله ضجيجًا وإزعاجًا، أغمض عينيه بقوة.

صوت التكة صدر مرةً أخرى، قام بسرعة ودخل الغرفة بعدما أضاءها، ولم يجد شيئًا .. فقط الثلاجة وبعض قطع الأثاث، دار برأسه في إنحاء الغرفة بعصبية بالغة، لم يجد شيئًا، مطّ شفتيه حنقًا. طرأت على رأسه فكرةٌ غريبة، اندفعَ صوب الشرفة وفتحها .. وجد المكواة قابعة وحدها، تنفسَ بهدوءٍ ونفضَ عن رأسه ما كان يتخيله، وأدار ظهره واتجه خارجًا من الشرفة، ليسمع صوت التكة .. لم يفتح باب الشرفة، ظلّ متحجّرًا مكانه، ما الذي يحدث؟ هل ما يسمعه حقيقي، أم أنه يتخيل؟ ما الأمر؟! لم يُرد أن يربط نفسه بتفسيرات تجعله يعضُّ على أصابعه، تنفسَ بهدوء وقال بصوتٍ مسموع: المكواة .. لازم تتصلح في أقرب وقت.

لا يعلم لماذا تكلّم بصوتٍ مسموع وكأنه يريد أن يُسمع أحدهم ما يقول، ولكنه لم يصارح نفسَه بهذا الأمر.. وعاد إلى سريره.

الصداع يقتل رأسه، والانهاك تملكه، وبدأت رأسه ترتخي لحظةً لحظة، وجفناه ينخفضان في هدوء.. وفجأةً أتى صوتُ ماءٍ ينساب في الحمام، فتح عينيه بسرعة، إنه لن يتحرك، لن يقوم.. الصنبّور مئة مرة في اليوم يقومٍ بالتنقيط.. لمَ سيهتم الآن؟! يلتفت إلى زوجته فلا يجد إلا صوت تنفسها الذي صار مسموعًا له وكأنه ضجيج، الصوت.. لم يأتِ مرةً أخرى.

تقلّب عدة مرات، يحاول النوم جاهدًا، لم يتبقَ إلا قرابة الساعتين كي ينامهما. ظلّ شاخصًا ببصره للحظات، ناظرًا صَوْبَ باب الحجرة، متوقعًا دخول أي شيء. ظلّ يفكر فيما يسمعه، إذا حاول أحدهم اقتحام الشقة، فعليه كسر قُفْلين وليس قفلًا واحدًا على

الباب، سيصدر صوتًا عاليًا للغاية بالتأكيد، إذن فالأصوات التي يسمعها الآن والتي تصدر من داخل الشقة، ليست من بشر.

جن؟! بالتأكيد هو جن في هذه الشقة اللعينة التي قام بإيجارها مرغمًا، إنها الوحيدة التي تلاءمت مع إمكانياته. تقلّب مرةً أخرى يحاول جاهدًا إرغام نفسه على النوم، ولكنّ رأسه كانت تعج بالأفكار والتخيلات التي أنهكته بالفعل، وزوجته هذه المرة تتقلب هي الأخرى معقبةً على تقلبه وحركته، وعادت ثانيةً لضجيجها الرتيب.

صوت زحزحة!! نعم زحزحة لكرسيٍّ رابضٍ في مكانه، عندها التقط أنفاسه وهو يتخيل أحدهم يتحرك في الصالة، وقد اصطدم عفوًا بأحد كراسيها، قام .. واستيقظت زوجته وسألته عن الأمر، فأجابها بأنه لا شيء، وخرج يتفقد الغرف والصالة والحمام باحثًا في كل ركن ووراء كل باب، حتى تحت السفرة ألقى بنظره لم يجد في طريقه إلا عروسة المولد التى أهداها إلى زوجته في المولد النبوي الفائت. نظر لها وشعر بها تنظر له وتحدق، أشاح بوجهه وعاد.

- مش جايلك نوم ولا إيه؟
- أيوة .. شوية أرق.

وعاد كما كان بجسده، ولكن عقله لم يهدأ. ظلّ يتقلب، والوقت يمر عليه وكأنه عداد قنبلة زمنية، كلما مر عليه من وقت ازداد ضغط أعصابه. لم يعد هناك وقت للنوم، فتح عينيه وعاد يرقب باب الغرفة ثانية، ودار بعينيه في أرجاء الغرفة. جن؟! هو بالتأكيد جن، والله إعلم إن كان واحدًا أم أكثر. ظل يدور بعينيه وكأنه يرقبهم بالفعل، بل ظن في إحدى اللحظات .. أنه قد شعر بهم.

إنهم بالتأكيد حوله الآن يلعبون به، ويسخرون منه، يُصدر أحدهم أي حركة في الخارج، والآخرون يرقبون حركته هنا ويضحكون.

- اللعنة عليكم يا شياطين، ولكنني لن أنصاع لكم.

أحسّ بالتعب يتملكه، وزاد الحمل على جفنيه حتى هَوَيَا، وأغمض عينيه.

***

في الصباح الباكر ..

يجري مسرعًا هنا وهناك، يعقد ربطة عنقه، ويرشف من الشاي بين الحين والآخر، وبينما هو يرتدي ملابسه وزوجته تحضر له أشياءه، نظرت صوبه فوجدت جفنيه متثاقلين، وتحت عينيه إحمرارًا طفيفًا، جعلها تشفق عليه.

- في إيه؟ ماكنتش عارف تنام امبارح؟

- فعلًا معرفتش أنام إطلاقًا.. وحاسس دماغي هتنفجر من الصداع.

لم يرد أن يحدثها عن مخاوفه من موضوع الجن، فهو يتركها وحدها.. وكي لا تفكر كثيرًا وتصاب بما أصيب به. رَبَتَ على كتفها وقبّلها.

- سيبك .. كل الموضوع إن أنا دماغي مشغولة وتعبانة شوية.

ابتسمت ولم تُعقّب.

***

خرج من الباب وأشار لزوجته، وأغلقت الباب. دخل المصعد، فوجد نوره مغلقًا. نظر لمكان المصباح فوجده فارغًا، زَفَرَ بضيق تمكله، وضغط على الزر الخاص بالدور الأرضي، ولكن يده تسمّرتً مكانها. لقد كانت كل أزرار المصعد مُضاءةً، من الدور التاسع حيث يقطن إلى الدور الأرضي. مَن الذى قام بالضغط على الأزرار؟ بالتأكيد أحد الملاعين الصغار. لم يحاول أن يجادل نفسَه أو يعقّب على ما وصل إليه فكرُه. وبدأ المصعد في الترول، والظلام الدامس لا يكسره إلا بصيصٌ من الضوء يأتي من إطار وتشققات في أبواب الأدوار التي يمر عليها. تنفُّسُه أصبح أسرع قَليلًا .. منَ الذى فعل هذا؟! وكأنه نسي ما وصل إليه فكره منذ قليل، وفي كل دور يتوقف فيه، ينكمش في نفسه ويتحفز متوقعًا أن يُفتح الباب، وأن يهجم عليه أحدهم أو هذا الشيء الذي يتعقبه.. كان كابوسًا من تسعة أدوار! خرج من المصعد مسرعًا، خرج من البناية وأحسّ بالنور وكأنما يحتضنه، باعثًا الراحة في عروقه وأعصابه. التفت صوبَ البناية وحمد الله أنه خرج منها.

***

- فين مراتي؟ فين مراتي يا بنت الكلب ودتيها فين؟

كان قابضًا على رقبتها بعنف، ويهزها هزًّا، بدون أن يقترب بوجهه منها. وجهها.. كان وجهًا غريبًا، امرأةٌ عيناها واسعتان للغاية وعلى شفتيها ابتسامة .. متسعة، متجمدة؛ وكأنها دمية ولكن بلحم ودم، ويداها تتحركان في الهواء بطريقة غير منطقية لا تحاول دفعه، بل تتحرك بليُونة وكأنها من اللدَائن! تتلوى هنا وهناك. تجمدت الدماء في عروقه وشارفت رأسه على الانفجار مما يراه، شعر بالاشمئزاز والتقزُّز والرعب في آنٍ واحد.

- موتيّ .. موتي .. هوريكم كلكم .. هموتكم كلكم واحد ورا التاني.

وفجأة أحسّ بما يرتطم برأسه وغاب عن الوعي.

***

أمام وكيل النائب العام

- أنت عارف إنك شرعت في قتل زوجتك؟

لم يجب!!

أراد ان ينفي، ولكنه لم يستطع.. ردّد وكيل النيابة السؤال، ولم يلقَ سوى نظرات حائرة مذبذة التحرك في كل اتجاه.

- طيب عارف إن حماك اتقدم ببلاغ إنك حاولت تقتل بنته اللي هي مراتك، وإن تقرير الطب الشرعي بيأكد كلامه؟

لم يجب .. وأراد أن يصرخ: إنهم الجن الملاعين، الزناديق، الكفرة، هم السبب في كل هذا، هم السبب أقسم لك؛ ولكنه آثر الصمت، محاولًا تذكر ما حدث. مالَ بظهره للأمام منحنيًا وأمسك برأسه، وأحس بملمس ضمادة حول رأسه، نعم .. نعم لقد ضربتني اللعينة. وتوقف عند هذه النقطة .. كيف علِم أنها لعينة؟! كيف علم أن من كانت مكان زوجته أنثى وليس ذكرًا منهم؟! هل من الممكن أن يكونوا قد سحروه وخيلوا له أن زوجته كانت هي ذلك الصرصور المقزز؟! لقد سمع مرارًا عن الجن الذين يقفون على وجوه البشر فلا يرى الآخرون إلا وجهَ المسخ، وكان يتعجب من الذين يُخدعون منهم ولا يدركون أفعالهم، ولا يستنجدون بالرب في وقت حاجتهم.

لَكَزَهُ الحاجبُ الواقف وراءه؛ كي يجيب على وكيل النيابة.

- طب عارف إن مراتك ضربتك بإزازة عشان بس تفلت من صوابعك اللي كانت عاصرة رقبتها؟

انعقد حاجباه، فارتاح وكيل النيابة قليلًا .. فالجالس أمامه على الأقل يسمع!!

لا يوجد أمامه الآن إلا أن يدّعي الجنون، فلن يصدقه أحد في موضوع الجن هذا، بالتأكيد سمعته زوجته وهو يصرخ وكأنه يتحدث لهم، وهو يصرخ سائلًا عنها أين ذهبت.

- في التقرير اللي قدامي .. مراتك مش عارفة أنت عملت كده ليه، ومش فاكرة أي حاجة غير إنك ماسكها بإيدك وبتخنق فيها، دا هي حتى مش عارفة أنت كنت بتخنقها ليه، ومش فاكرة إنك قلتلها أي حاجة، مش فاكرة غير إنك فوقيها بتخنق فيها.. ردك ايه على الكلام دا؟

زاغت عيناه، ولم يُعقّب. أحسّ بأنه يريد البكاء.. إنه يحبها، يحبها والله العظيم .. إنهم الملاعين، ولكن من يصدق!!

تأفّفَ وكيل النيابة وزَفرَ بحرارةٍ واقترب بوجهه منه، وقال بنبرة خلا منها الصبر:

- شكلك كده هتتعبنا معاك .. اللهم طولك يا روح، طب أنت بتُقر إنك قلتلها يومها الصبح:

"أنا دماغي مشغولة وتعبانة شوية"؟

***



مذكرات علبة جراميسين

(إبريل – 2012)

ملامحي واهية، شاحبة.. معالمي مختفية.

فأنا في ثلاجة الرجل العجوز لفترة طويلة.

مَن أنا؟!

أنا علبة أنبوبة جراميسين، ولا تخلط بيني وبين الأنبوبة. أنا الآن في يد الرجل العجوز للبحث عن شقيقةٍ لي ليستبدلها مكاني.

يمسكني في يده المرتعشة؛ لأنه لا يعرف نطق اسمي.

بالكاد هو يرى أساسًا.

***

الطريق إلى التأمين الصحي.

أولًا.. انتظرنا طويلًا حتى نستطيع الدخول للطبيب، وفي ركـــنٍ صغير تقوقع وقبض عليّ بشدة؛ منتظرًا نداء اسمه.

وجاءه النداء وهبّ واقفًا، واندفع مهرولًا؛ حتى لا يأخذ أحدهم مكانه.. دخل على الطبيب.

يبدو أن كل حالات الطبيب من هذا النوع؛ فهو حتى لم يتفحصه سوى بنظرة جانبية.

لقد امتلأت ملامحه بمتاعب المرضى نوعًا ما، بالرغم من أنهم –كلهم– مَرْحَى في حديثهم، وكأنهم يدفعون الألم المحيط بهم بالسخرية والضحك، ودار هذا الحديث بينهم.

الطبيب: يا حاج رجلك دي لازملها الدوا دا ضروري، وأنت شكلك عارف ما دام أنت جاي بالعلبة معاك.

العجوز: واجيبها منين يا دكتور؟

الطبيب: هكتبهالك وتطلع على الصيدلية بتاعت التأمين، بس.....

العجوز: بس ايه يا دكتور؟

الطبيب: احتمال ماتلاقيهوش للأسف ناقص بقاله فترة، دا رخيص مش غالي.

العجوز متضرعًا: والله مالاقي آكل... رغيف العيش لما بلاقيه بفرح.

قالها على سبيل الدعابة علّه يكسر الجمود بينه وبين الدكتور، كاشفًا عن أسنانه المتآكله. فلم يترك ما أَمّلَ من انطباع لدى الدكتور.

الطبيب مُنهيًا كلامه: المهم تجيبه، رجلك ممكن تقلب بخُراج وعملية وشغل أزرق لو ماجبتوش.

***

وخرجنا وأنفاسه اللاهثة أشعر بها بنبض عروق يده.

وصلنا للصيدلية... يا الله أكُل هؤلاء يريدون الدواء؟!

في هذا الموقف لا تجدنّ أحدهم يُفسِح لكبيرٍ أو صغير، لا تجدنّ أحدهم يفسح لأم أو لأخت؛ فالكل مَرْضَى، والكل يبحث عن علاج، والمكان المخصص ضيق لا يكفي عشرة أشخاص وليس المئة الواقفون.

واندسَّ الرجل العجوز، وظلّ يتخلل طريقه، وبعد نصف ساعة استطاع الوصول للشباك الحديدي.

العجوز: يا بني ممكن اصرف الدوا دا؟

الرجل اللي في الشباك لا ينظر له أصلًا ويمسك التليفون الداخلي ويقهقه ضاحكًا؛ والذين بالخارج يقهقهون ألمًا.

العجوز مكررًا: يا بني ممكن اصرف الدوا دا؟؟

العجوز متوسلًا: يا بني ممكن اصرف الدوا دا؟؟؟

ولمست يد العجوز كتفَ الرجل الذي التفت، فحلّت مكان الضحكات نظرات إبليس.

الرجل صارخًا: في إيه يا عم الحاج.. اقف في الطابور، وماتتحركش لحد ما اقولك.

وقبل أن يكمل كلامه لمح علبة الجراميسين.

الرجل: وبعدين الدوا دا ناقص .... يلا مع السلامة.

العجوز: يعني ايه ناقص .. اجيبه منين؟

الرجل: الله أعلم دي مش شغلتي .. يلا مع السلامة يا حاج.

وعاد الرجل يتحدث في التليفون.

ويبدو أن هناك مَن همس في أذن العجوز أنّ عليه الصعود لمدير الوحدة.

وصعد العجوز وعرقُه يسيل عليّ، تاركًا أثرَه. وصل العجوز ورئتُه ستخترق صدره من التعب، ومن حظه أن وجدَ المدير واقفًا أمام باب حجرته.. يعني هو ليس بالمشغول أو في الاجتماع الذي سينتهي الشهر القادم، بل هو واقف –والحمد لله– يقهقه مع إحدى المريضات خارج حجرته.

العجوز: يا سعادة المدير،

المدير: افندم.

العجوز: حضرتك بيقولولي تحت الدوا دا مش موجود!

المدير يمسك بي؛ ملمسُ يده مختلفٌ بالتأكيد، به نعومةٌ لم أعهدها من زمن طويل، ورائحة ذكية تخلّلت ثَنَاياي؛ وعدتُ إلى يد العجوز المشققة المنهكة.

المدير: اااه الدوا دا ناقص.

العجوز ينظر نظرات لها معنى: "ما انا عارف"!

كتب المدير له ورقة احتضنها العجوز معي أنا وهي في يد واحدة.

المدير: اطلع بالورقة دي على أقرب صيدلية، وهما هيصرفولك التحويل دا.

وعاد المدير ينظر بنظرة المنقذ للمريضة التي راقبت الحوار والتي قالت: ياه يا دكتور على كرم أخلاقك، بتّابِع بنفسك أحوال المرضى والعيانين!

وهرع العجوز وقدمُه تؤلمه. أشعر بها من انقباضات أصابعه وهو ينزل على السلالم.

وذهب العجوز وذهبت معه إلى الصيدلية.

وهناك كل ما وجده هو كلمة واحدة: "التحويل دا مالوش لازمة".

وفي الواقع العشر دقائق التي حدثنا عنها المدير؛ هي عشر دقائق في حالة ما إذا كنت تمتلك سيارة، أما إن كنت سائرا فالطريق يأخذ نصف ساعة على الأقل، وكل ما في جيب الرجل المريض العجوز هو اثنان جنيه؛ ضمانًا للعشاء، وقد كان وضعهم بداخلي صباحًا؛ ضمانًا لعدم ضياعهم.

***

وعاد للمدير ودخل عليه مباشرة؛ ووجده يمسك بكوب الشاي الساخن، ويرشف ببطء والتفت له المدير بحدة.

العجوز: ياباشا مارضيوش يصرفولي الدوا.. أنا..

قاطعه المدير: أعملك أيه الدوا ناقص ... يلا مع السلامة، وما تخششش هنا تاني. يا حسين، أنت يا زفت يا حسين، تعالى شوف شغلك وطلع الراجل دا بره.. قلة ذوق بصحيح.

العجوز: حرام عليكوا...محتاج الدوا.

المدير: اطلع على الوزير، وقدِّم شكوى، نعملكوا أيه؟! يلا مـــن هنا.

وجاء حسين العملاق وأ ـج العجوز.

ونزل العجوز وأصابعه مرتخية، تمسكني بضعف.. قد أهوى في أي لحظة من بين أصابعه.

وعلى جدارِ وحدة التأمين الصحي جلس وأراح ظهره، ووضعني في حجره، وهو يردد بحرقة: حقي ومش عارف اخده.

صوته يتحشرج: يا ربي ماعيش فلوس اعمل ايه! حقـــي ومـــش عارف اخده.

وسالت عليَّ قطراتُه، ليست قطراتُ عرقه،

بل هي قطرات دموعه.

***

فيما بعد بسبب اهترائي ومحو الزمن لكل معالمي.

سيلقيني .. ولكن لست وحدي، بل أيضًا قدمُه التي ســـيبتروها بسبب داء السكري والغرغرينا التي أصابتها.

***

هل هذه قصة خيالية؟!

***

عباءة الحاج عبد الواحد



(عشرينيات القرن الماضي)

راجعًا من سوهاج البلد، متخذًا نفس الطريق التُّرابية التي يظل يلعنها طوال الطريق المؤدي إلى بلده (روافع القصير)، التي تجعل (الكَرَتّه) تنتفض كالممسوس، جاعلةً مؤخرته تتألم من اصطدامها بالمقعد الخشبي للكرته، تلك الكرته الخَرِبة التي يرجو أن يغيِّر فرشها على الأقل، ويجعل لها من الوسائد ما يريح ثنايا جسده وخصوصًا.. مؤخرته. العديد من جوانب حياة الحاج عبد الواحد ما يؤلمه تألم مؤخرته تمامًا، العديد من جوانب حياته ما يريد أن يبطنه بالوسائد الوثيرة كما يأمل لهذه الكرته. زيارات سوهاج البلد الأسبوعية تقريبًا، هو ذاك هدفها، كل أسبوع وهو جالس في غُرزة بدر (على اسم الغازية التي تهزُّ وسطها بها)، تأتي له فكرة يحاول أن يُحسِّن بها الفدان الوحيد الذي يملكه؛ مرة يفكر في شق ترعة صغيرة، ومرة في ماكينة تروي محصوله، وهكذا .. وفي كل مرة لا يستطيع حتى أن يقابل المسئولين، وإن قابلهم ما إن يروه حتى يدركوا مقاصده التي لن تثمر لهم شيئًا، فلا يلحق بلعَ ريقه حتى يكون خارج المكتب.

الكرته تنتفض والطريق مظلم، اقترب بالكرته من المكان الوحيد المتلألئ على هذا الطريق المظلم، غرزة بدر. أوقفها بلا تردد، ونزل منها، واتجه صَوْبَها. فتح الباب، ودخل .. سطع النور في وجهه ..

فلم يرى وجوه الجميع .. ومن الجيد أنه لم يفعل، فما إن رأوه حتى كتم كلٌّ منهم ضحكته، فهم يعرفون الأمر وما فيه.

مرّ الحاج عبد الواحد بنظره على وجوههم، كبار البلد وشيوخها المتنغمين بالأخلاق نهارًا جهارًا، والشاربين من كأس اللذة ليلًا فجارًا. كلٌّ منهم على مصطبته الخشبية، إمَّا رافعا قدمًا ومدلدلًا الأخرى، وإمّا القرفصاء، وكلٌّ منهم في يده ذراع الجوزة الحارقة. على النغم، تهتزُّ الرؤوس، والعيون أيضًا على جسد التي تتلوى أمامهم، وتثور أجسامهم حرارةً، تاركة صهدًا في المكان، تعالجه حكةُ أيديهم في أجسادهم، في رؤسهم تارةً، وفي أنحاء أجسادهم تارةً أخرى.

ألقى بنظره في أنحاء المكان، غير عابئٍ بنظراتهم المستهزئة، فهو أيضا يعلم الأمر وما فيه. وجد مكانًا قصيًّا وحيدًا، اتجه صَوْبَه فورًا، وجلس ورفع إحدى قدميه، وأتته النارجيلة مسرعة، والفحم يطقطق من سخونته، التقط النفس الأول، وظلّ كاتمًا أنفاسه للحظة؛ مفسحًا للدخان مكانًا في دهاليز عقله ورئته، وتركه يخرج ببطءٍ من منخاريه، حتى أعاق الدخانُ رؤيته للغازية بدر وهي تهزُّ ما بإمكانها هزه، وبدأت أفكاره تتراقص داخل عقله.

الحال نفس الحال .. بل وأصبح أسوأ من ذي قبل .. هي عمرها ماتتعدل معانا .. اللعنة!! ما الحل؟!

- كيفك يا حاج عبد الواحد؟

قالها وهو يضغط على كلمة حاج وكأنه يُعلي مِن قدره، ولكن عبد الواحد يعلم أن ما بباطن الكلمة هو الاستخفاف فقط. رفع

نظره ليجد الحاج مخيمر أحد كُبراء القرية، الدائمين بالمكان، وعيون الجالسين مِن حولهم متعلقة بهم وليس بالغازية، التي هي أيضًا عيناها أصبحت متعلقة بهم، وكأنهم مترقبون حدوث شيءٍ ما. تَمْتَمَ بشفتيه وهو يهزُّ ذراع النارجيلة، وارتجت الغرزة من الضحك الخارج من البطون المملوئة، ومن بين ضحكاتهم، ضحكة الغازية الحادة منطلقة.

التفت الحاج مخيمر صوْبَ الجالسين وعلى وجهه ابتسامة المنتصر، من أدّى واجبه على أكمل وجه، في حين أنه أكثر مَن يعلم أنه أيًّا كان ردُّ الحاج عبد الواحد كانت الغرزة سترتج من الضحك. ذلك اللعين الذي جعل قدم الحاج عبد الواحد تقلُّ على المكان، وجعله يظن في قرارة نفسه ان الحاج مخيمر يأتي للغرزة من اجله هو وليس من أجل الغازية. لم يشرب الحاج عبد الواحد سوى حجر واحد فقط من المعسل، وانطلق صوب بيته القابع وسط أرضه.

***

اندفع النور من عقاله أولَ ما فتحت الحاجة بدرية النافذة الطويلة، ليغمر وجه عبد الواحد؛ انقبضت عيناه، وفتحهما بعد لحظات، وقال وهو يحك رأسه:

- أنتِ يا ست أنت!!
- مالك يا عبد الواحد .. أنا قلت ادخلك شوية هوا.
- هوا.. الله يخرب بيتك على بيت أفكارك.
- الله يسامحك يا عبد الواحد. ربنا يفتحها في وشك، وتبطل رجعة الفجر .

- لم أرجع للوراء إلا بسبب دعواتك .. يا رب ارحمني!

- الله يسامحك يا عبد الواحد!

ويظل عبد الواحد هكذا، وتظلّ هي أيضا هكذا لا تملك إلا أن تدعو له بأن يسامحه الله.

في وسط اليوم، ارتدى ملابسه، وخرج بدون حتى أن يلقي بالسلام على بدرية أو عيال بدرية. لم يرد أن يعرفوا أنه ذاهبٌ إلى سوهاج البلد، بالرغم من أنه رجع منها البارحة. يشعر بأنهم هم أيضًا يسخرون منه من ورائه. اتجه صوب الكرته، وألمُ مؤخرته بدأ من قبل أن يستوي عليها.

***

أمام مبنى البلدية واقف، يحضر في رأسه ما سيقوله، وهو يلقي بنظره على المبنى ويتخيل نفسه بالأعلى، يتحدث والجميع منبهرون به ويقوم المسئول ويشد على يده قائلًا:

- أنت فين من زمان يا عبد الواحد باشا..

أنعشته كلمة باشا التي ترددت في مخيلته، ولكن مافتئ أن امتعض وجهه وهو يقول:

- باشا مرة واحدة يا عبد الواحد .. الله يخرب بيت دماغك .. النارجيلة خربتها.

وبينما يفكر.. اندفع من جانبه صبيٌ، ووقف الصبيٌّ في منتصف الطريق، والتفت ضاحكًا وكأنه يجري مِن أحدهم في لعبةٍ ما، ووجد

الحاج عبد الواحد عربة خضار قادمةً مسرعةً ومَن يقودها غير منتبه لطريقه؛ اندفع الدم بسرعة إلى رأسه، والتفت الطفل والرعب قد ارتسم على وجهه وتسمّر في مكانه بلا حَرَاك، وتحرّك الحاج عبد الواحد بسرعة، انتبه قائد عربة الخضار، وبقوة جذب عنان الفرس، ولكن سبق السيفُ العذل، لم ينقذ الصبي سوى أن التقطه عبد الواحد وهوى به الحاج عبد الواحد أرضًا، وعربة الخضار قد توقفت في المكان الذي كان فيه الصبي تمامًا، وقبل أن يدرك الحاج عبد الواحد الذي حدث، كان فوق رأسه رجل يبدو عليه الأفندية، وعلامات الخوف والامتنان والحب والفزع تمتزج في قسمات وجهه، وبالرغم من كبر سنه، جذب الصبي جذبًا، واحتضنه وهوى به على ركبتيه، قبّلَهُ عدة مرات، تَحَسْبَنَ سائقُ عربة الخضار واتجه في طريقه، التفت الأفندي صوب الحاج عبد الواحد، وقال له:

- ربنا يخليك .. ألف شكر على إنقاذك حياة حفيدي .. هذا الشيطان الصغير.

قام الحاج عبد الواحد ونفض عباءته، وهو يقول:

- لا شكر على واجب يا بيه .. أي واحد في مكاني كان سيفعل مثلي.

- ألا يوجد ما أفعله لك.

انعقد حَاجِبَا الحاج عبد الواحد عندما ظنّ أن الرجل يتحدث عن إعطائه بعضًا من المال.

- عيب عليك يا أستاذ هذا الكلام.

- لا أقصد والله .. ولكن اسمحلي برد الجميل فقط.

وصمت الأفندي فجأةً، ونظر صَوْبَ الحاج عبد الواحد من فوق لتحت، وظهرت على وجهه ابتسامة متسعة:

- ما اسم الكريم؟

- عبد الواحد.

- خلاص يا حاج عبد الواحد، تعرف بيت الحاج قاسم الدرديري.

- طبعًا .. كل البلد تعرفه.

- في انتظارك غدًا على المغرب .. أنا قاعد عندهم يومين، اوعى تتأخر.

وجد الحاج عبد الواحد نفسه يومئ بالإيجاب، وكيف يقول لا لزيارة بيت أحد من عائلة الدرديري كبراء الكبار ذاهم. كل ما تردد في رأسه شيء واحد فقط.

والله وانفتحت لك طاقة القدر يا عبد الواحد.

***

واقفًا أمام بيت الحاج قاسم الدرديري، متطلعًا للبيت من أعلاه إلى أدناه، يفكر فيما سيقوله، وكيف سيبدو أمام هؤلاء ..ال.. ال.. لم يجد لهم وصفًا في مخيلته إلا أنهم غِيلان، نعم غيلان..غيلان في ثرائهم ونفوذهم، ولا يريد أن يبدو أقل منهم، كيف؟ لا يعلم وهذا ما أثار الخوف بداخله. وقف أمام الباب وقبل أن يطرقه وجد من

يأتي من ورائه، أحد الغفراء وقف أمامه وسأله عن مراده، انفرجت شفتا الحاج عبد الواحد، وكاد ينطق ولكنه تجمّد عندما أدرك أنه لا يعلم اسم الأفندي الذي كان يحدثه اليوم، وشعر بجسده يهتاج والعرق له ملمس الثلج على جلده، وصار خافضًا عينيه وناظرًا يَمنةً ويسارًا، بدون أن يعلم ماذا يقول، وقبل أن يزداد وضعه سوءًا، وجد مَن يفتح الباب، ووجد أمامه الأفندي. اندهش الأفندي وانفرجت أساريره فورًا، وفتح ذراعيه، والتقط الرجل بين أحضانه، التي هدأته فعلًا من هذا الموقف المحرج، وكأنه حضن أمه ذاتها.

- أهلًا .. أهلًا .. لقد خفت ألا تأتي.

- نعم .. نعم.

- ما الأمر .. لونك مخطوف هكذا..

(بضحكة مصطنعة) – لا .. لا شيء.

- حسنًا.. هيّا بنا للداخل إذن.

دخل الأفندي ممهدًا الطريق للحاج عبد الواحد، دخلوا في إحدى الحجرات المغلقة في الدور الأول، وجلسوا، وأتى من الخدم من يرون طلباتهم، وبعد السلامات المعتادة.

- ألّا بصحيح يا بيه، أنا لم أعرف اسم معاليك.

قهقه الرجل وربت على حجر الحاج عبد الواحد:

- اسمي موريس اسفانيوس.

انقعدَ حَاجِبَا الحاج عبد الواحد، ورنت في رأسه كلمة "خواجة"، وظهر على ملامحه الاندهاش.. فالرجل يبدو أنه مصري أكثر من المصريين ذاتهم.

- بس لايغرنك اسمي ١٠أ مصري أكثر منك، أنا مولود في اسكندرية من أب يوناني وأم مصرية، أنا هنا عند الحاج قاسم في شغلة خاصة.

ملامح الاهتمام واضحة على الحاج عبد الواحد..استطرد موريس:

- أنا الترزي الذي يقوم بعمل عباءات الحاج قاسم نفسه كلها. كل ثلاثة أشهر يبعث لي في القاهرة لآتي إليه؛ كي أفصل له من العباءات ما يليق به.. وهو الوحيد الذي أقوم بتفصيل العباءات له، فأنا شغلي في الأساس في البدل، وخصوصًا لرجال الوزارة.

- الوزارة؟

- نعم .. الوزارة .. سعد باشا، وعدلي باشا، وغيرهم.

- سعد باشا نفسه؟!

- اه والله..

وعاد موريس يقهقه ..

- الحاج قاسم .. الصراحة .. رجل بمعنى الكلمة ويهتم بما يرتديه جدًّا .. يعتبرني أحد أهل داره، فما بنا صلة تعود لسنوات.

- نعم .. نعم.

- بعدما أنقذت حفيدي .. أنت لا تدرك كم أنا متعلق به، أنا لا أتركه حتى في سفرياتي ..والشيء الذي سأستطيع خدمتك فيه فعلًا.. هو أن أفصِّل لك ثلاث أربع عباءات تبدل بينهم .. هدية مني لك.

اتسعت عينا الحاج عبد الواحد .. وكل مايراه في مخيلته، سعد باشا زغلول، عدلي باشا، وعبد الواحد باشا، انتفخ صدره وعقد حاجبيه:

- ولكن يا موريس أفندي .. بعد إذنك .. كله بحسابه.

- إنها هديه مني يا حاج.

- معذرة يا موريس أفندي الأصول .. أصول. خدمتك لي في أن معاليك شرفتني بالتفصيل لي، فلا تأتني بما لا أستطيع قبوله.

وصمت برهة وأضاف بعدها باستكانة:

- خصوصًا .. وأنني سأنتظرك بعد ثلاثة أشهر من الآن.

ابتسم موريس أفندي وهزّ رأسه:

- حسنًا يا حاج عبد الواحد.

طوال الطريق وهو عائد من زيارة موريس أفندي، وهو يتخيل نفسه بالعباءات، مرّ على غرزة بدر، وأوقف الكرته. دخل الغرزة، ولكن على عكس كل مرة منتفخ الصدر وعريض المنكبين، الجميع يلقي إليه بنظره، في انتظار مَن سيقوم، ليأتي لهم بأفواه مفتوحة.. بضحك وفيرٍ، والحاج عبد الواحد يدرك ما في سرائرهم، وقبل أن يهب أحدهم أو يرمي أحدهم بكلمات له، ما إن استوت النارجيلة

أمامه حتى التفت الحاج عبد الواحد للحاج مخيمر (الذي عمِل من قبل لدى الحاج قاسم الدريدري)، وقال له:

- ألّا بصحيح يا حاج مخيمر، هو الحاج قاسم الدرديري من الذي رسم له صورة بهذا الحجم؟

- صورة؟

- نعم .. صورته التي في حجرة الضيوف؟

جذب مسارُ الحديث الجميعَ حتى اشرأبت عنوقهم؛ كي لا تهرب كلمة منهم وسط الحوار.

انعقد حَاجِبَا الحاج مخيمر وسأل:

- وأنت كنت هناك ولا أيه يا حاج عبد الواحد؟

لم يعارضِه الحاج مخيمر، بل ازداد انعقاد حاجبيه انعقادًا، والجميع منتظر منه النفي.

- نعم .. كنت هناك في شغل يا حاج مخيمر.

رفع الحاج مخيمر عَقِيْرَتَهُ وضرب في الهواء ضحكةً لم تجاورها ضحكات أخرى، فهبط بنظره ليجد الجميع ينظرون إليه صامتين كالصخر، والحاج عبد الواحد ناظرًا صَوْبَهُ بثقة وبعينين مفتوحتين عن آخرهما، والصمت قد أطبق على المكان تحت وطأة نظرات الحاج عبد الواحد، الذى عاد يشرب النارجيلة وينفث دخانها في هدوء.

واقفًا أمام باب بيت الحاج قاسم الدرديري وبين أحضانه موريس أفندي، كان الحاج عبد الواحد. أشار موريس إلى أحد الخدم الذي

هرع حاملًا حقيبة متوسطة الحجم ووضعها في كرتة الحاج عبد الواحد، الذي كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه على أقصى اتساعها، وهو يحاول إحجامها؛ كي لا يظهر عليه فرحه الشديد كالأطفال الفَرِحين بحصولهم على ملابس العيد. تَبَادَلا السلامات، وقال الحاج عبد الواحد:

- نراك على خير .. المرة القادمة يا موريس أفندي.
- أكيد.. أكيد يا حاج عبد الواحد .. مع ألف سلامة.
- الله يسلمك.

وانطلق الحاج عبد الواحد مسرعًا؛ لأنه هذه المرة لن يمر على الغُرزة، بل سيمر على بيته أولًا.

***

دخل الحاج عبد الواحد الغُرزة راسمًا على وجهه التجهم اللا مبرر، الذي يضعه الكُبراء بدون أدنى داعٍ سوى أنها علامة "أنا دائمًا أفكر، أنا دائمًا مشغول"، وتختلف هذه المشغولية الظاهرة بين مشغولية إبداع، ومشغولية فلوس وأطيان، ومشغولية مصالح ناس وإنقاذ حياة ملايين من الرعية، ولم يكن قد حدد الحاج عبد الواحد بعدُ أيَّ هذه المشغوليات يجب أن تبدو عليه الآن، ولكن لا يهم .. فَسَيتمرّسُ حتى يتقن إحداها نظرةً وحركةً وحديثًا.

التفت الجميع صوبه .. هذه المرة ليس بدافع البحث عن الضحك والمسخرة، بل الفضول. لقد أصبح الحاج عبد الواحد هو جل المجهول بالنسبة لهم، وتعدّى الأمر مرحلة المجهول إلى الإعجاب

والحسد، والحقد أحيانًا من العباءة الرائعة التي كان يرتديها، جعلت بكل بساطة فرقًا بينه وبينهم لمن يرى الصورة لأول مرة، يشعر بأن هناك كبيرًا وكل مَن حوله هو صغير، كبير بعباءته وبمشيته المختالة بينهم وصدره المنتفخ وذقنه المرتفعة وعصا الأبنوس التي اشتراها خصِّيْصَى لهذا الموقف. نظر الحاج عبد الواحد صَوْبَ الحاج مخيمر، وأراد الأخير أن يُعلّق .. أن يقول أي شيء، ولكنه لم يستطع؛ لأنه شعر بالخوف داخله.

جلس الحاج عبد الواحد، ورفع القدم على المصطبة، وأسند الكوع على الركب، وأمسك بذراع النارجيلة، التقط منها نفسين، وفجأةً قطع السكون في المكان، الحاج سويلم:

- ألّا بصحيح يا حاج عبد الواحد، أنت كنت اليوم عند الحاج قاسم الدرديري؟

التفت الجميع واشرأبت الأعناق منتبهةً إلى أقصى حد إلى الحديث الدائر.

- نعم .. يا حاج سويلم.

- ومن الذي كنت تأخذه بالأحضان هكذا؟!

ضحك الحاج عبد الواحد، وقال:

- واحد من الذين يعملون في الوزارة في مصر.. كلها مشغوليات والله يا حاج سويلم.

سيطرت الدهشة عليهم جميعًا، وفجأةً دبّت في المكان ثرثرةٌ جعلت في المكان أزيزًا كأزيز خلية النحل، كل يُثرثر للآخر عن الأمر، وفي وسط الثرثرة والنظرات التي تأتي من حينٍ لآخر لتتفرس في عباءة الحاج عبد الواحد البارقة بجمالها وحسن تفصيلها الدقيق على مقاس الحاج عبد الواحد -قام الحاج مخيمر ودنا من الحاج عبد الواحد، وقف أمامه وألقى السلام .. فنظر صوبه، وكأنه لم يلحظ وقوفه أمامه.

- وعليكم السلام يا حاج مخيمر .. اتفضل.
- يزيد فضلك.

وجلس بجانبه الحاج مخيمر..

- كيف حالك؟
- الحمد لله على كل شيء (قالها بدون أن ينظر له).

دنا منه الحاج مخيمر أكثر، وقال:

- بس والله ماشاء الله على جمال عباءتك، ما تعمل معروف وتعرّفنا على مكان بيع هذه العباءات.
- هذه تفصيل يا حاج مخيمر.
- تفصيل!!
- نعم تفصيل.
- الله ينور على الترزي .. الله ينور عليه.
- إذن يمكن أن تعرفنا على طريقه .. أصلها بصراحة .. روعة.
- ربنا يخليك يا حاج مخيمر.

كانت الفرحة عارمة داخل الحاج عبد الواحد .. لطالما تمنى أن يأتي الحاج مخيمر له راجيًا منه شيئًا ولو صغيرًا.

- صعب جدًّا والله يا حاج مخيمر.

- ليه بس؟

- أصل الترزي شغله كله لناس معينة.

- ناس معينة؟

- نعم .. هو بيعمل بس لناس الوزارة.

- وزارة؟

زادت الفرحة داخل نفس الحاج عبد الواحد كلما سمعه يردد خلفه كل ما يقول مندهشًا متسائلًا، واقترب هذه المرة بوجهه من وجه الحاج مخيمر، وقال بصوت عميق:

- سعد باشا زغلول، وعدلي باشا يكن، وغيرهم من رجال الوزارة الكبار.

- يا قوة الله .. سعد باشا نفسه!

لم يعقب الحاج عبد الواحد.. فقط نظر له بابتسامة المنتصر، في حين كان الحاج مخيمر يلقي بنظره على العباءة، وظلّ صامتًا للحظات، ثم اقترب مرة أخرى من الحاج عبد الواحد، وقال له بصوت خفيض:

- حسنًا .. أنا لن أُثقِل عليك في موضوع العباءة مع إني عارف أنك هتحاول توصلنا للترزي يا كبير.. أنا عندي طلب آخر عندك .. ما تقدرش تجمعنا في قعدة مع الحاج قاسم الدريدري .. في شغل كتير نفسي ادخل معاه فيه، وأنت سيد العارفين.. شغل الحاج قاسم يَأكّل الشهد،

ولا أيه يا عبد الواحد باشا.

***



ابن حرام



بالنسبة لها .. هو كل الدنيا، ولا معنى لحياتها بدونه، فهو كل شيء، وعنده توقف كل شيء.

بالنسبة له .. كان هو مجرد لحظة متعة، ولكنها عرفت طريقها؛ كي تظلّ موجودةً وحاضرةً في شريط الزمن .. في شخصه.

بالنسبة للناس .. هو.. "ابن حرام"!!

***

حسين مستندًا بذراعيه على حاجز الشرفة، يراقب الطرقات، منتظرًا مارًّا هنا أو هناك، حتى تتعلق به عيناه، مُحدثًا أيَّ تغيير على هذه اللوحة الصامتة من الشوارع الساكنة. في منطقة التجمع الأول بالقاهرة الجديدة، شعورُ الوحشة يقتله، كل زملائه في الشقة سافروا لقضاء يومين بالإسكندرية، وهو لم يستطع الذهاب.. فمادة القرآن الكريم قد رسب بها، وموعد الملحق هو بعد غد، يجب أن ينجح هذه المرة، فنجاحه أو رسوبه في كلية التجارة بجامعة الأزهر، متوقف على هذه المادة. لقد نجح.. وباقتدار في كل المواد الأخرى المحاسبية والاقتصادية، ولكنه رسب في القرآن.

"خيبته قوية" على رأي أمه، وتعبير أبيه التلقائي: "مالقتش غير القرءان وتسقط فيه!!"، التفت بعينيه داخل الشقة فلم تقع عيناه إلا على الحوائط التي لم يعلوها حتى الدهان، إنها مجهزة فقط لأمثاله من

المغتربين القادمين من الدلتا والصعيد، للنوم والنوم فقط فحتى المذاكرة تخجل من هذه الجدران، أفضل مكان يجده مريحًا للمذاكرة هو القهوة، ومبسم الشيشة في فمه وقلمه في يد وكتابه في اليد الأخرى.

طرق على الباب .. مَن الذي يحتمل أن يأتي في هذه الوقت من الليل، اتّجه صَوْبَ الباب والقلق يرسل ذبذباته إلى جميع انحاء الجسد، وقف خلفه للحظة فهذا الباب اللعين لا يوجد به عين سحرية، وقف يسترق السمع .. لم يسمع أي شيء، وبينما أذنه على الباب .. طرق مرة أخرى، انتفض، وقال بحدة: مَن؟

- افتح يا محمد .. دا أنا.

إنه صوت الراقصة رغد التي تسكن أمامهم، ارتاح لسماع صوتها، فأي صوت آخر كان سيقلقه بالتأكيد، فتح الباب.

- أنت كنت خايف تفتح ولا أيه؟

شعر بالإحراج نوعًا ما ولم يعقب، لأنه لم يكن في حالة تسمح له بالتعقيب، أو التركيز فيما تقوله هذه المرأة، فما كان يركز عليه هو المساحة الظاهرة من صدرها.

قال في نفسه: الله يخرب بيتك ويخرب بيت اللي خلفوكي، أيه اللي أنت لابساه دا، دا قميص نوم .. الله يحرقك!!

رغد أي نعم كبيرة السن إلى حد ما، ولكنها امرأة يسيل لها اللعاب، وهكذا حدث بالفعل مع محمد.

لاحظت نظراته غير المنمقة الواضحة، اقتربت.. لا.. لا..لم تقترب، فقط مالت، وقالت:

- أنت لوحدك؟

- أيوه.

لم يستطع أن يدعوها للدخول، ولكنه أراد أن يدعوها بشدة، لذلك أزاح جسده عن طريقها وترك طريق الشقة مفتوحًا على مصراعيه.. يناديها، ولم ترفض دعوته الصامتة، ودخلت .. واتجهت صوب الأريكة الوحيدة الكائنة في منتصف الصالة، أغلق محمد الباب واتجه وراءها. جلست ووضعت رجل على رجل، فبانت إحدى ساقيها إلى ما فوق الركبة، صعد الدم إلى رأسه، وابتلع ريقه.

- تشربي حاجة؟

- أي حاجة.

- هعمل شاي؟

- ماشي.

لم يكن هناك اختيار سوى الشاي، ولم يكن هناك اختيار سوى أن يبتعد عنها للحظات حتى يتمالك أعصابه، ويسأل نفسه متأخرًا.

" إيه اللي جابها دلوقتي دي؟!"

لم يجهد نفسه في البحث عن إجابة، أعدّ الشاي بسرعة، وخرج يحمله على صحفة معوجة، تستند عليها أكواب الشاي بصعوبة،

وطبقتها اللامعة قد تشققت. وجدها كما هي متألقة في هذا الليل البائس، وضع الشاي على جنب، وذهب مسرعًا للجلوس بجوارها.

"هو ايه اللي بيتقال في المواقف اللي زي دي؟"

"لازم يتكلم .. ومش أ.. هبل .. لازم يبان تقيل وراسي مش بريالة زي العيال الصغيرة"

عندها سألها وهو يصطنع لَكْنَةَ "الصياعة":

"بس انت اسمك الحقيقى إيه يا رغد؟"

***

"سعدية .. أنتِ يا بت يا سعدية؟"

هرعت سعدية صوب أمها، الجالسة أمام فرن العيش، تقوم بإخراج ما جهزته النيران، ظلت واقفة منتظرة الأمر من أمها. التفتت أمها فوجدتها واقفةً ترقبها.

- أنتِ لسه واقفة.. اتحركي وهاتي السَبَت اللي هنحط فيه العيش.

تحركت سعدية بسرعة، وأتت بالسَبَت، ووقفت ترقب خروج العيش الفلاحي، جميل الرائحة منعش مزاج البطون.

- اخطفي رجلك يا سعدية لحد بيت عمتك أم خالد، وهاتي من عندها الحِلل بتوعنا، لحسن دي ولية نَسّاية وهتخلي الحِلل عندها للعيد الجاي.

التفتت سعدية ولم تعقب وشرعت في الجري صوب بيت أم خالد، من عادتها أن تسير بجانب الترعة، ترقب من يسقي بهائمه، أو حتى يسقي نفسه، من يغسل أشياءه، أو يغتسل هو ذاته، وصلت عند عدة بيوت متجاورة منهم بيت عمتها أم خالد، وقبل أن تتجه صوبه، سمعت صوتًا، التفتت حولها فوجدته .. محمدين ابن الحاج محسن .. واقف بجانب جدار أحد البيوت، يشير لها بيده أن تأتي، نظرت حولها فلم تجد أحدًا، فذهبت صَوْبَه.

- محمدين .. أنت ايه اللي جابلك هنا؟

- محاسن الصدف .. يا عود الغزال.

ابتسمت بخجلٍ ولم تُعَقِّبْ.

- أنا كنت عايز أكلمك في موضوع مهم قوي.

- أيه؟

- تعالي هنا على جنب حسن حد يشوفنا كده ولا كده؟

- حسنًا.

أخذها وراء البيت، حيث الزرع الأخضر هو ما يحوز البصر حتى الأفق. امسكها من يدها واندفع بها وسط المزارع، هي لا تعلم إلى أين يأخذها، ولا يخطر حتى ببالها بادرة عن مراده.

***

عيناها تتلألأن كما الأطفال، إنها تجــري الآن وســط الحقــول والأخضر يلفُّها من كل اتجاه، إنها تسير الآن بجانب الترعة التي تحب أن تسير بجانبها دائمًا.

كان هذا ما رآه محمد فيـ وهي تلتقط أنفاسها؛ كــي تواصــل الحكاية.

***

- تعالي يا بت ماتخافيش.
- أجي فين بس يا محمدين؟
- عايزك في موضوع مهم قوي.. تعالي بس.

ظلّت تسير معه، تخطو الخطوة وتأخِّرها خطوتين، وهو ممسكٌ بمعصمها يكاد يجرُّها جرًّا، وصلوا إلى حافة الزرع، تسمّرت .. التفت لها محمدين وقبل أن ينبس ببنت شفة .. ليدفعها إلى الدخول داخل الزرع، سمعا صوتًا قادمًا من داخل الزرع؛ تركها محمدين وانسحب داخلًا الأخضر، باحثًا عن مصدر الصوت .. وخلفه تحركت سعدية، تسمّرَ محمدين تخطته سعدية لترى ما الذي تسمّر من أجله محمدين.

أحد الفلاحين السخرة منكفئٌ فوق شاب صغير يضاجعه، والشاب مستسلم تمامًا، التفت الشاب لتجد سعدية أخوها كرم، هتف محمدين بصوت مسموع: كرم.

انتفض الاثنان، وكل منهما يداري نفسه، وعلامات العداء واضحة على ملامح الفلاح، لم تنتظر سعدية لترى ما الذى سيحدث، لقد دار الأمر في عقلها في عدة لحظات، محمدين سيوصل الخبر إلى

القرية كلها، وسيعلمون أن سعدية كانت داخلة إلى الزرع معه وحدهما، سيقولون الحاج مصطفى لم يأتِ إلا بلوطي وزانية، سيعلقهم عرايا وينهال عليهما بالسوط، حتى تتمزق جلودهم وتنسال من عليهم كالذبائح، وأم مكلومة ستظل تلطم خديها وصدرها إلى الأبد.

التفتت وسعت في الجرى .. الجري بلا توقف، ظلت تجري .. لم تحتمل أنفاسها، ولكنها ظلّت تجري بلا هوادة، بدون تفكير، لا تعرف إلى أين هي ذاهبة، ظلت تجري إلى أن وجدت نفسها على رصيف محطة القطار .. وجهتها محطة تُدعى الهروب!!

***

صمتت للحظات .. وكأنها ما زالت لا تستطيع التقاط أنفاسها من الجري.

***

لم تستقر قدماها إلا وهي على رصيف المحطة. جاء القطار.. وجدت نفسها قطعةً من التلاحم البشري .. ذلك النهر الذي يتحرك في اتجاه، لا يستطيع أحدهم معارضته، خاصة في أيام الذورة. لبثت في أحد أركان القطار، الزحام شديد للغاية، كانت بجانبها امرأة عجوز جالسة على الأرض وأمامها سلّتان إحداهما كبيرة للحمل على الرأس والأخرى صغيرة لتُحمل باليد، تركت جسمها يهوي ليستقر بجانبها، التفت المرأة لها، لم تقل لها شيئًا، ولكنها رأت المعاناة متجسدة في ملامح الشابة. جذبت السلة الصغيرة ودفعتها حتى استقرت بجانبها وأشارت إليها كي تُريح رأسها عليها، علّها تستريح، وكم كانت هي

فعلًا تشتاق إلى الراحة! ولكن أين الراحة؟ مُخها يكاد ينساب من رأسها منصهرًا من التفكير، الدماء تغلي في رأسها حتى أصبحت متوردةً كالمحمومة، ما العمل؟ .. ما العمل؟

نامت .. من التعب.

يدٌ حانية تربت على كتفها، رفعت رأسها، فوجدت المرأة العجوز واقفة، اعتدلت سعدية، وجدت الجميع يتدافعون خارج القطار، وقبل أن تتساءل كانت المرأة قد أخذت السلة وهرعت خارجه، وقفت.. لا يوجد بُدٌّ من النزول، نزلت في المحطة الأخيرة...

الإسكندرية.

***

عادت سعدية للسير بلا هوادة في كافة الشوارعِ، بحثًا عن اللا شيء. إنها تسير وتسير؛ تبكي تارةً، تنبهر مما تراه تارةً، تقرر الرجوع إلى المحطة تارةً، ولكن قاطعها نداءُ الجوع وضاعفه التعب أيضًا، وجدت أمامها موقف سيارات أُجرة، وعلى أحد الأرصفة التي بجانب المحطة، وجدتها جالسةً، مَلِكة المزاج والشاي .. الحاجة أم غريب كما ستعرف لاحقًا.

جلست بجانبها لم تنبس ببنت شفة، التفتت صَوْبَها الحاجة أم غريب، تفرّستها من فوقٍ لتحت عدةَ مرات، وبينما هي تتفرسها كانت تعد الشاي وتقدمه للسائقين العَطْشَى وتحاسبهم في ذات الوقت، ومدّت يدها لسعدية بكوب من الشاي، إنها لا تحب الشاي ولكنها فرحت لدخول أي شيء إلى هذا الجوف الفارغ، ظلّت ساكنةً تراقب.

– أنتِ تايهة يا عنيا.

لم تجبها سعدية، ولكنها اومأت بالنفي.

– أمال أيه؟

ظلّت صامتةً لا تجيب، ولا تعلم لماذا شعرت بأن أم غريب قد ارتاحت عندما لم تسمع منها إجابة. لم تسألها أم غريب ثانية، بل تركتها جالسةً بجانبها تراقبها وهي تخدم السائقين حتى أظلمت الدنيا، لملمت أم غريب عدها ووضعتها في مكان قريب، وعادت لها:

– يلّا بينا..

تسمّرت سعدية ببصرها!

– أيه هتباتي هنا ولا أيه؟

ومدّت يدها وأمسكتها بحنان، وقامت معها سعدية بلا جدال تسير وهي لا تعلم إلى أين هي ذاهبةً، لقد أصبحت الآن داخل عالم أمٍ غريب المجهول، والمفعم بالحنان في ذات الوقت.

ظلت سعدية ليومين تذهب مع أم غريب للموقف. وبعد الانتهاء من العمل في اليوم الثاني، وفي خلال عودهما للغرفة التي تسكن فيها في المنتزه على سطح إحدى العمائر القديمة، كانت سعدية تتحدث معها في كل شيء، حتى عرفت أم غريب ما الذي رمى بها هذه الرمية السوداء، قالت سعدية في نفسها: "حنيتها النهاردة بزيادة حبتين".

وصلا إلى سطح العمارة، ولكنه لم يكن خاليًا كان هناك مَن هو جالس ومقرفص أمام الباب يُدخِّن في بَلادة وكأن الوقت متوقف عنده لا يمر، رفع رأسه ببطء:

– حمد الله على السلامة يا أم غريب.

– ايه اللي جابك بدري، ولا مالقتش حتة ترمي فيها جتتك فقلت تيجي ترميها هنا يا بدري؟

ضحك بدري: انجزي وحياة أبوكي يا أم غريب، أنا وريا خمسين ألف مشوار تاني، انجزي هي دي الحتة؟

ومد يده يمسك سعدية من ذراعها، عندها سارعت لأم غريب ولطمته في صدره بقوة.. دفعته دفعًا:

– دي مش للمس يا روح أمك .. هي الزغلولة ما قلتلكش ولا أيه؟

تحسّسَ بدري مكان الضربة وقال: قالت لي يا ستي .. هو أنتِ شفتيني عملت حاجة!

سعدية واقفة متجهمة لا تفهم ولا تحاول الفهم.

– يلّا بينا يا عسلية..

قالها بدري موجهًا حديثه لسعدية، عندها التفتت صَوْبَ أم غريب، ولكن الأخيرة أمسكتها من يدها واقتادتها داخل الغرفة، واقتربت منها حتى أحست بأنفاسها.

– بصي يا بنتي، أنا على اد حالي، وشايلة نفسي بالعافية، أنتِ هتروحي عند ناس طيبين.

مزيجٌ من الارتياع .. الخوف .. الشعور بالخيانة ارتسم على وجه سعدية، مالت برأسها وبدأت في النحيب المكتوم، انفرطت الدموع من عيني أم غريب وقالت:

- هتروحي عند واحدة كويسة أوي اسمها زينب هتعلمك الشغلانة وهتدخلك الكار اللي يأكل عيش في البلد دي.

- الكار؟

- الرقص.

وقبل أن تكمل نَدّت من سعدية صرخة صغيرة:

- رقص!!

- اه يا حبيبتي، مش حرام والله .. دا بس عشان تعرفي تاكلي عيش .. هوا أنتِ كنتِ فاكراني هعرف اداريكي عن عيون ولاد الكلب اللي كانوا هيكلوكي بعنيهم النهاردة وامبارح، مالقتلكيش حل غير زينب، هتحميكي وتعلمك، وما تقلقيش أنا عرفتهم إنك مالكيش في الحرام، وإنك بنت طيبة بس الدنيا اللي عملت فيكي كده.

وقبل أن يطول الحديث كان بدري قد دخل من الباب الموارب وأمسك سعدية من معصمها، وسحبها وهي منقادة تسير خلفه، وهي تنظر إلى أم غريب التي وقفت على الباب تنظر إليها والدموع واضحة على عينيها، وقف بدري فجأةً وكأنه تذكّر شيئًا، التفتَ إلى أم غريب وقال:

- معلش نسيت.

وألقى لها بعشرينات ملفوفة بأستك، هوت بين يدي أم غريب، عندها لم تستطع الانتظار أكثر من ذلك ودارت هربًا من نظرات سعدية التي ظلّت تراقبها حتى أغلقت الباب وراءها.

***

- تصدقي يا وزة .. أم غريب ما سألتنيش على الفلوس ولولا إن أنا افتكرت ماكنتش خدهم النهاردة.

ضحكت زينب ومن بين حلقات دخان السجائر الرفيعة التي تدخنها قالت:

- غريبة أول مرة تعملها دي الفلوس عندها أغلى من غريب ابنها.

ضحك بدري على ضحكتها، ولكن زينب لم تكمل ضحكتها، صمتتْ فجأةً والتفتت إلى سعدية الواقفة أمامها:

- أم غريب موصية عليكِ جامد أوي ولا أكنك بنتها، أول مرة تعملها؟ دي ست مابيهماش غير الفلوس .. أنتِ تقربيلها يا بت؟

كانت سعدية غير منتبهة لحديثها، فقط منتبهة للشقة الفخمة التي تقف في صالتها الآن، للسجاد والثريات المتلألئة التي تزغلل عينيْ من يحاول التركيز .. هي منتبهة لملابس زينب الثمينة والتي تنطق حال الأغنياء والأكابر وعقلها ممتلئ بسؤال: "بقى العظمة والأبهة دي ليها في الرقص وقلة الأدب؟!"

– ما لك يا سعدية ساكتة ليه؟

– نعم؟

– بقولك أنتِ تقربيلها؟

– لأ.

– ما علينا .. على العموم أم غريب غالية عليّ أوي، دا نص الكابريه .. جايين من عندها .. بس هي امنتني أمانة، إني ادخلك في كار الرقص مش الكار التاني، وأنا الصراحة ماكنتش موافقة من الأول.. عشان كار الرقص دا ليه بناته، أما التاني فدا أي واحدة بتقضيه والسلام .. لفي كده ووريني نفسك.

لفت سعدية حول نفسها في صمت.

– لأ .. أم غريب عندها نظر برضو .. واهو عشان ماتزعلش مننا. سعيد خدها ووديها على مكانها الجديد.. ماشي يا رغد.

– نعم؟

– ما هو أنتِ يا حبيبتي من النهاردة ما حدش هيقولك سعدية تاني، سعدية دا تنسيه نهائي.

أنتِ من النهاردة اسمك رغد.

أصبحت سعدية .. رغد هانم .. وكابريه الساحل بصيتها أصبح زبائنه لا يجدون مكانًا للجلوس. شهرتها وصلت حتى الطلبة في المدارس، وباسمها أصبحت تضرب الأمثال. حافظت على شرفها من

اللمس، من أول الغفير إلى الوزير. كانت تعمل الخير بدون أن تجعل أحدًا يدرك أنها من تفعله، حتى أم غريب ترسل لها شَهريّة تعينها على الحياة، بالرغم من أنها إلى الآن لا تنسى ما فعلته بها، وأنها ستظل آخر شخص ترغب في رؤيته أو في شم ريحته حتى؛ كانت ترسلها فقط لأنه بموت زينب المفاجئ لم يعد هناك مَن يرسل لها الفلوس، ولم يعد هناك -على ما يبدو- من الساذجات من يلجأن لمواقف الأجرة، فأصبحت شهريّة رغد والشاي معينها على الحياة.

كانت (هز يمين)، فتهوي الآلاف يمينًا..(هز شمال)، فتهوي الآلاف شمالًا.

***

وصل حسين عند هذا الجزء وأحسّ بأنفاسه تتسارع، وأحسّ بالضوء ينعكس على قدميها وفخذيها، كان يتخيلها وهي ترقص لهم، كان يسمع الضجيج والصراخ عندما تميل ميلةً مثيرةً لأحدهم. صوت المغني الشعبي ملأ المكان ضجيجًا، أحسها في كامل عنفوانها، ترقص وتهتز، ترسل ضحكاتها للجميع حتى له هو، العرق يتصبب منه، هوت إحدى حبات عرقه على رموشه؛ فارتعشَ وهبّ من أحلام يقظته. كانت صامتةً، ويبدو أنها كانت هي الأخرى معه في ذات الحلم وذات الذكرى.

أحبَّ سعدية ضابط الشرطة عزيز، دائم الحضور المتابعة لها، أحبته هي الأخرى، قررت أن تترك الكار .. أن تترك الدنيا كلها من أجله. في بداية الموضوع استغربت نفسها، كيف هوت بتلك السرعة وهي

التي هوى تحت قدمها المئات .. اللعنة عليه .. إنه الحب. لم يعد اللقاء داخل الكباريه بل خارجه، لم يعد الحديث داخل الكباريه بل طـــوال اليوم، لا يملأ يومها إلا هو، ولم تعد تعطي كما كانت من قبل. لـــن تنسى تلك الليلة التي قالت لنفسها وهي مستلقية على الـــسرير في منتصف الليل:

"لن أبيع الغالي بالرخيص أبدا.. اللعنة على الفلوس.. اللعنة على كل شيء"

وقررت أن عزيز هو الغالي وأن عالمها هو الرخيص.

فيما بعد ..

عزيز أخذ غرضه كما يقولون وتركها.

***

مرّت رغد في حديثها عن هذا الجزء مرور الكـــرام، ولم يطلـــب حسين استيضاحًا أو تكملة، فالأمر كان واضحًا، ضَـــحِكَ عليهـــا الضابط، وألقاها.

أكملت هي وحَكَت له عن الحمل الذي ظهر عليها بعد ذلـــك، وكيف أن الضابط ضربها وشكّكَ في نسب الطفل الذي بداخلـــها، وهدّدها بالقتل، وجعل مخبريه يتعقوبنها لبعض الوقت، وتكفّلَ معارفَه من البلطجية بإحالة حياتها جحيمًا، حتى جعلوها لا تترك الكباريـــه فحسب، بل الاسكندرية بأكملها؛ خوفًا على نفسها وعلـــى مـــا في بطنها.

***

أصبحت رغد راقصة من راقصات شارع الهرم، ولكن لن يعد لها نفس الضي ولا نفس الشهرة، لم تعد تستطيع استساغة الحياة، لم تعد تشعر بطعم أي شيء في جوف نفسها، فقط "عليّ" هو سندها في الحياة ولولاه لقتلت نفسها. أحد معارفها القدامى استطاع استخراج شهادة مزورة لابن الحرام ردًّا لذكرى الأيام الخوالي.

الأيام تمر .. ونفس الوصلة تقدمها رغد كل يوم.. وكل يوم تظهر فتاة جديدة تملأ الدنيا ضجيجًا، ورغد لا تزال كما هي تقدم نفس الوصلة. فاتحها صاحب الكابريه في هذا الموضوع أكثر من مرة، ولكن لا حياة لمن تنادي.

الأيام تمر وتترك أثرها على صدرها وأردافها وحركاتها التي أصابها البطء. الحاج عبد العظيم كان هو السبب الوحيد في بقائها في الكابريه، لولا حب الحاج عبد العظيم لها؛ لرموها خارج الكابريه. إنها علاقة حب نشأت داخل الكابريه ولا تتعداه بل تستمر بداخله، حتى أنه أصبح يدخل الكابريه فتنتهي الوصلة الدائرة فورًا أيًّا كانت لتأتي مكانها رغد لتؤدي وصلتها اليومية المعتادة، تُنهيها بابتسامة للحاج عبد العظيم الذي يقف ويدفع ببضع مئات في حمالة صدرها ويربت على كتفها، ويجلس قليلًا بعدها يشرب من البيرة قرابة الصندوق الكامل، ثم بعدها يذهب.

حسين يُومِئ وهو يستمع. رغد أمامه كبيرة، عجوز، هرمت من الحزن .. ومن انتظار الأجل. لم تعد ذات الثَنيات المثيرة، بل أصبحت ذات الأحاسيس الحزينة. انكسرت عيناه عنها .. شعرت هي به، عدلت من وضع ساقيها واقتربت منه، وقالت:

- تعرف يا حسين أنا تمني أيه دلوقتي .. تمني هو بس ال **15** إزازة بيرة اللي بيطلبهم الحاج عبد العظيم، لولا دول أنا كان زماني نايمة في الشارع.

وقبل أن يرد حسين أو يُعقّب اخترق الصمت..

- ماما .. أنتِ فين يا ماما؟

انتفضت رغد واقفة بسرعة تسعى نحو الباب وهي تقول:

- أنا جيالك يا علي .. يا حبيبي

وأغلقت الباب خلفها.

***

الجالِس على أنف دجاجة



يطلقون عليه الجالس على أنف دجاجة. مضحكٌ.. نعم.

وهل الدجاجة تمتلك أنفًا؟! .. منقار بالتأكيد وليس أنفًا، ولكن أكانت أنفًا أم منقارًا فهذا ليس بالأمر الهام، بل المهم هو ذلك الجالس فوقها!

***

- قرب يا حاج .. قربي يا حاجة.

لا سحر ولا شعوذة.

من غير لف أو لعبكة.

هطيّر عقلكوا.

فوق الفرخة هقعد وهقضيها كمان شقلبة.

ههههههههههههه

قرب يا عم.

سيبك من القوطة.

دي عندي هتبقى بالوظة.

***

بكلماته الراقصة مثل جسده، بدأت الأقدام تنجذب نحوه. وسط صخب الأقدام المتحركة هنا وهناك وسط سوق ما بعد صلاة الجمعة في جامع العارف ذلك الجامع الكبير بسوهاج، اعتادت العيون هنا أن ترى أشكالًا وألوانًا من الشحاذة بجانب بائعي الفاكهة والخضر كل أسبوع، ومناجاقم التي تحاول سرقة بعض الرأفة، من أي قلب لتوِّه خارجًا من لقاء الرب، ولكن العيون لم تعتد أن ترى مُهرِّجًا بملابسه ذات الألوان العجيبة المتداخلة حتى تصيب عينيك بالوجع. البائعون أنفسهم استغربوه وبعيوهم خلال بيعهم تابعوه، ابتعدت الأرجل عن البائعين واقتربت منه.. لم يعترض البائعون، فلقد ذهبوا معهم ليروا هذا الأراجوز النطّاط.

***

ابتسامته على أشد اتساعها، وهو يقفز من هنا وهناك، يلف بعينه، يبحث عن ضالته، يلقي من كلام القافية .. حتى لا يمل الوقوف، ووجد ضالته واقفة تحت رجل أحدهم.

– الفرخة دي تبعك يا باشا؟

لم يجب الرجل ونظر إلى الفرخة القابعة تحته، والتي يبدو أنها قد شعرت بالعيون تتجه نحوها، فشحذت فرائصها على الهروب، وقبل أن تبدأ في العَدْوِ، كان ممسكًا بها، واندفعت إحداهن:

– دي بتاعتي يا حبيبي .. دي أكل عيشي .. روح العب بحاجة تانية.

ضحك الواقفون بسبب أم أحمد بائعة الفراخ، ولم يتحرك أحدهم، فقلما يرون ما يقتل مَلَلهم، ويدفع في ألسنتهم ما يُحكى في المساء من نوادر.

- يا ستي ما تقلقيش .. والله ما هكلولها .. دا أنا هقف عليها بس.. وياريت هقف دا أنا هقعد يا ستي كمان .. ومش هيحصلها حاجة والله العظيم .. واللي خلقني!

قال أحدهم: سبيه لما نشوف أخرته أيه يا أم أحمد.

التفتت أم أحمد وكأنها كانت في انتظار هذا العرض لتقول في سرعة

- خلاص ولو حصلها حاجة على حساب سعادتك.

انعقد حَاجِبَا الرجل .. ولما رأى العيون صوبه لم ينبس، وحدج الماسك بالدجاجة بنظرةٍ نارية تنم عمّا سيفعله إذا اضطر أن يدفع ثمن هذه الدجاجة.

- وقبل كل شيء باسم الله .. وسمعونا الصلاة على النبي

"عليه الصلاة والسلام"

أخرج من جيب جاكتته طبشورًا أبيض، رسمَ به دائرة حول منقار الدجاجة، وتركها وبينما هو يتركها:

- باسم الله .. ما شاء الله عليكِ .. مش عايز ولا حركة .. عشان العرسان هنا كتير.

ضحك الواقفون..

ولعجبهم وجدوا الدجاجة واقفة بلا حركة.

– دا أنتِ هتموتي على الجواز بقى؟!

ضحك الواقفون مرة أخرى.

ووسط ضحكهم وجدوه فجأةً ينحني على منقار الدجاجة وكأنه يعدها لشيءٍ ما، لحظات وظهر على وجهه التركيز الشديد، وانتقل هذا التركيز إليهم على الفور، وبدون مقدمات هذه المرة رفع قدمه ووضعها على منقار الدجاجة وبسرعة وضع الثانية ووقف منتصبًا، وعيون الواقفون ستخرج من مقلتيها، وقبل أن يدركوا ما يرونه انحنى وكأنه جالس على الهواء والمنقار هو الذي يسنده في وضعيته تلك، وقبل حتى أن يتنهد أحدهم .. قفز مِن فوق المنقار وهبط.

– شبيك .. لبيك .. هههههههههههههههههه

وأرسل ضحكته التي أخرجتهم من غفوهم، لينتفضوا غير مصدقين ما كانوا يرونه .. حتى أم أحمد نسيت الدجاجة وظلّت تنظر إلى الرجل بملء العينين. أمسك الدجاجة ومسح ما على منقارها من طبشور ونفضها في الهواء فهبطت وكأن الحياة قد عادت لها، وشرعت في الجري في فزع الفراخ المعتاد يمينًا ويسارًا تبحث عن منفذ من بين الأقدام والأرجل الواقفة في كل مكان.

وخلع قبعته، ومررها بينهم لتسري في نفسه النشوة وهو يسمع اصطكاك الملاليم ببعضها البعض في جوف القبعة، وضحكاته وقفشاته

تملأ المكان، والكل ينظر إليه بإعجاب جَمٍّ، وأحسّ الرجل أن هناك المزيد في جيوبهم مما يريد الخروج، لَمْلَمَ ما في قبعته ووضعه في جوف الجاكت.

– بس أنا لسه ماخلصتش..

واقترب بوجهه من أحدهم وقال: هو أنت لو عبيت من البحر، هيقل يا عمنا؟

أشار الرجل برأسه بالنفي وهو يقولها في خفوت .. حتى لا يكون هو دجاجة العرض القادم.

– مش سامعك بتقول أيه.

– لا ما بيجلش.

– تمام يا بلدينا.

***

خرج الشيخ إبراهيم من المسجد بعدما ختم الصلاة وسبّح لله مما خطر على القلب واللسان، ومنذ خرجت قدمه من المسجد وقد أدركت نفسه أن هناك عارضًا ما قد حدث لا يوجد باعة ينادون، والساحة التي أمام المسجد خاوية من البشر، عربات الفاكهة والخضر واقفة وحيدة في ظل بهائمها، ارتدى خُفيه بسرعة وهو يدعو في نفسه "يارب خير". نزل سلمتين على الدّرج الأمامي للمسجد وسمع صوتًا عاليًا من على يمين المسجد، خرج من بوابة المسجد ليجدهم واقفين،

متجمهرين .. الهمهات تسري بينهم، وهناك من يعلو صوته وسطهم، ودخل الشيخ إبراهيم ليرى هذا الذي تجمّع حوله الناس.

***

– بس الشوف مش ببلاش يا اخونا .. ولا أيه؟

أشار بعضهم بالإيجاب، حثًا له على المتابعة. اشرأبَّ الرجل بعنقه ينظر خلفهم، ووقعت عيناه على ضالته، وقال محدِّثًا أحدهم:

– هو النهاردة يوم الدبح يا حاج؟

التفت الواقفون للمتحدَّث إليه، ووجدوه رجلًا عجوزًا يمسك بجمل واقف بجواره، أشار الرجل بالإيجاب.

– قرب يا حاج ماتخافش ..أنا ماكلتش الفرخة .. فا مش هاجي على الجمل واكله.

اقترب الرجل العجوز بدفع الناس، واقترب منه الرجل، وأمسك منه لجام الجمل، وأخذه ووقف به أمامهم.

– أنت ما بتأكلهوش ولا أيه يا حاج؟! دا شكله هفتان ممكن ياكل راجل بحاله؟

التفت الواقفون يبحثون عن الإجابة عند الرجل العجوز، وعندما وجدوه صامتًا وعلى وجهه فقط علامات الاستفهام، عادت رؤسهم تنظر صوبَ الرجل مرةً أخرى لتنفتح أفواه البعض، بل ويرتعش البعض الآخر، وهوت أم أحمد مغشيًّا عليها، فقد رأوا الرجل نصفه داخل فم الجمل، والجمل يشرع في بلعه بلعًا، والأرجل ترتعش خارج

فمه ارتعاشةَ الفزع والموت، لم تحركهم فالخوف قد جمّدهم. وفي لحظتين على الأكثر كان الجمل قد التهم الرجل، وقبل حتى أن تهدأ أنفاسهم وصدورهم التي أصبحت تعلو وتهبط في سرعة كمرضى الدرن، كان الرجل يخرج قطعة قطعة من دُبر الجمل! نعم من دُبره وهبط أمامهم سليمًا كما دخل من فمه، هبط واقفًا في لحظة واحدة.

– صقفة لله يا رجالة هههههههههههههههههههه

انتفضوا للمرة الثانية على وقع صفق يديه وضحكاته المجلجلة وقفزه في المكان من هنا لهناك ونزع قبعته بحثًا عن الملاليم.

وبينما الأيدي تدخل الجيوب ببطء، فعن الدفع لا يعوقهم شيء، فما رأوه.. لن يروا مثله بالتأكيد وحتى يأتي الأحفاد سيحكونه حول صحفة الشاي الساخن من خلال كراسي المعسل والدخان على أنه نادرة النوادر.

يقفز بقدميه وينط من هنا لهناك كالحلزون، ولكن اندفع الشيخ ابراهيم من وسطهم غير عابئ بمن اصطدم بكتفه أو من داس على قدمه، اندفع من وسطهم كالثور الجامح، وقبل أن يدرك الرجل شيئًا كان الشيخ إبراهيم ممسكًا به من ياقة جاكتته.

– يا ساحر يا لعين .. بعد صلاة الجمعة .. بعد صلاة الجمعة.. جايب شياطينك وبتغوي القلوب قبل العيون .. يا فاسق يا ابن الكلب.

انكمش الرجل وكانت المفاجأة هذه المرة من نصيبه، وعادت الأيادى إلى الجيوب، منتظرةً ما سينتهي إليه هذا الأمر.

- في ايه بس يا حاج مالك؟

- مالك؟ .. بتوريني الكـ ر والشعوذة دي وبتقولى مالك!!

- سحر أيه بس يا عم الحاج .. دا لعب وهزار.

- وأنا هوريك أخرة اللعب والهزار دا .. قال لعب وهزار قال .. بقى كلام ربنا بقى بيتلعب بيه والناس بتضحك عليه.

والتفت الشيخ إبراهيم صوب الواقفين:

- وانتوا واقفين سايبينه يعمي بصيرتكم بسحره، قاعدين تضحكوا، اضحكوا اضحكوا، لحد ما تضحكوا في جهنم مع الشياطين بتوعه اللي كانوا بيضحكوا عليكم من شوية.

بدأت الهمهمة تسري بينهم، والكل لا يقوى على حتى الرد. الشيخ إبراهيم إمام مسجد العارف، الدارس في الأزهر والحافظ لكتاب الله، والمرجع الديني لكافة أهالي سوهاج من شرقها لغربها، يقول على ما رأوه أنه سحر.

إذن فهو سحر.

الرجل يلتفت في وجوه الواقفين.. ورأى كلمات الشيخ تصنع أثرها، أين المفر الآن!!

- دا اخرتك نار هتشويك وتشوي شياطينك يا رجيم.

- رجيم ايه بس يا حاج وحِّد الله.

- ماتجيبش سيرة الله على لسانك .. أنت لازم تتربى .. احنا لو كنا في زمن تاني كان زمانا علقنا المشانق وخلصنا منك دلوقتي..

ووجد الجمع من يدفعهم كي يمر من بينهم ليرى ما يحدث.

- وسع يا جدع أنت وهو..

وقد كان الشاويش علي .. ألقى بنظره على الشيخ إبراهيم وعلى الرجل القابع بين قبضتيه، ونظرة الغضب على وجه الشيخ إبراهيم تنم عن شيء عظيم.

- في أيه يا شيخنا .. خير؟

- الخير جالنا على قدومك عشان تاخده معاك تولعوا فيه .. تضربوه بالرصاص.

- ليه بس .. ايه اللي حصل؟

وبعد سؤال الشاويش عن الذي حدث .. سمع في نفس الوقت قرابة العشرة أفواه تحكي عن الذي جلس على أنف الدجاجة، وعن الذي أكله الجمل وخرج من دُبره في ثانية واحدة، وعلم الشاويش من نبرة السخط التي حوله، أن الرجل لو لَبِثَ أكثر من ذلك بين أيديهم فسيقتلونه حتمًا.

- هاته يا شيخنا .. دي حكايته دي يقولها قُدام المأمور شخصيًا.. عشان نعرف صرفتنا معاه ايه .. هما فاكرين البلد مابقاش فيها دين ولا إيه!

التقطه الشاويش بصعوبة من بين يدي الشيخ إبراهيم، بعدما هوى على قفاه بلطمةٍ دفعت بالرجل للأسفل حتى رُكب الشاويش، أخذه الشاويش واندفع به وسط الناس، ولا يزال الواقفون يحكون له عمّا رأوه من هذا الزنديق.

ابتعد الشاويش بالرجل وهو لا يزال ممسكًا به، حتى تواروا عن أعين الناس التي ظلّت تتابعهم لفترةٍ ليست بالقصيرة وخصوصًا الشيخ إبراهيم الذي أراد أن يطمئن قلبُه، والذي حمد الله أنه قد وقف بالمرصاد لهذا الشيطان، والحمد لله أنه قد أدرك الآن عن ماذا ستكون خطبة الجمعة القادمة.

– يا شاويش ..

قاطعه الشاويش: بس ولا كلمة .. لحد ما نوصل للمأمور.

– صبرك بس .. أنا مؤمن وحياة ربنا .. والكعبة الشريفة.. وبشهد بأنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .. والسيدة زينب والأشراف كلهم أنا ماعملتش حاجة.

أصاب ذكر السيدة زينب والأشراف شيئًا في قلب الشاويش العاشق لهم ولآل البيت جميعًا.

– أمال أيه اللي بيحكوه دا؟!

– دا كان وهم وعزة جلالة الله.

– وهم؟!

– أيوة وهم .. يعني ضحكت عليهم.

- أمال ماقلتش كده ليه قدامهم؟!

- أقول ضحكت عليهم بعد ما دفعوا الملاليم يا شاويش!!

ضحك الشاويش ووقف وهو يتطلع إلى الرجل المنكمش في جاكتته الملونة، وبينما هو يدور برأسه ويفكر.

- أحب على راسك .. تسبني .. أنا حرّمت أعمل أي حاجة هنا تاني. على أول قطر وهكون فيكي يا مصر، أنا ماليش قعدة هنا.

عاد الشاويش يضحك مرة أخرى:

- وهتروح فين في مصر؟

- هروح اقعد عند اخويا في السيدة نفسية.

- في السيدة نفسية؟

- أه .. دا ساكن قصادها بالظبط .. وكل يوم بنروح نصلي عندها.

- يا فتاح يا كريم!!

سكت الشاويش للحظات:

- بص يا ابن الحلال .. ولا ايه؟

- ولا ايه .. ايه؟

- قصدي يعني ابن حلال ولا مش ابن حلال؟

- ابن حلال .. يا شاويش أمال ايه بس .. ابن حلال.

- بص يا ابن الحلال .. هسيبك بس أمانة عليك تدعيلي عندها إن ربنا يرزقني بالواد .. ماشي؟

- ماشي يا شاويش من العين دي قبل العين دي .. دا أنت تؤمر.

وما إن تراخت قبضة ا ناويش قليلًا حتى ابتعد الرجل وعلى وجهه بدأت تعود الابتسامة، وهو يربت على صدره داعيًا بكل ما يخطر على لسانه من أدعية للشاويش وهرع بعيدًا عنه في لحظات.

وكل ما كان يدور في عقل الشاويش وقتها.

"قال شياطين قال! بقى واحد بيحضر عند السيدة نفيسة والسيدة زينب، والأشراف، ويبقى تبع الشياطين؟! أمّا عالم دماغها راحت خالص. بس الواد ابن الجنية قعد على منقار الفرخة ازاي، ولا نزل من دبر الجمل ازاي؟!"

تخيّل الشاويش هذه اللقطة، وعاد يضحك وهو يكمل طريقه باحثًا عن مشكلة أخرى.

***

الغرفة

لا يحمل بيده أي شيء سوى الجاكت الذي خلعه من الحر، واقفًا أمام اللوكاندة العتيقة ذات الطراز الإنجليزي والزخارف الفرعونية التي لم تعد الأعين تلاحظها في عتمة الزحام، لوكاندة كبيرة وذات شبابيك عديدة. دلف إليها، لم يجد أحدًا البتة، الدرج أمامه وتحته يقبع المكتب، بضع كراسي هنا وهناك عَلَتها الأتربةُ، ما الذي جعله يأتي إلى هنا؟

– أي خدمة؟

التفت ليجده بكرشه الممتد، والفانلة ذات الحمالات، ورائحة عرقه التي تسبقه حديثًا عن أسلوب حياته، والسيجارة التي هو بالتأكيد انتهى منها منذ قرابة الساعة وظلّ يحرق في الفلتر الخاص بها .. بصق عقب السيجارة.

– كنت عايز اوضة؟

– ما أنت أكيد عايز أوضة .. أمال هتكون عايز عربية!!

وقهقه على ما قاله، في حين ظلّ القادم كما هو صامتًا، التفت الضخم والتقط مفتاحًا من فوق المكتب وألقاه للقادم، التقطه وعلى وجهه التساؤل ظاهر.

– فوق.

قالها وذهب، نظر القادم صَوْبَ الدَّرج، صعد ووصل إلى الدور الأول، ووجد الغرف ممتدة من على الجانبين، لا يعلم لماذا شعر أن

الحجرة ليست هنا، صعد الدرج مرة أخرى للدور الثـاني، ووجـد الدور الثاني مثل الأول، الغرف ممتدة من الجانبين ولكن هنا كانـت هناك غرفة في آخر الطابق مفتوحة الباب على مصراعيها، وتحركت قدماه صوبها تلقائيًّا، نظر في المفتاح الذي معه، لا يحمل أرقامًا، وهو يسير وجد الحجرات بلا أرقام أيضًا، وصل إلى الغرفـة، يبـدو أن أحدهم قد جهزها منذ قليل، ولكنها بالرغم من ذلك كانت قـذرة بالتأكيد. أغلق الباب ودسّ المفتاح في مكانه في الباب وأداره، وألقى الجاكت وتمدّد على السرير.. متسائلًا: "لماذا أنا هنا؟!"

لا يعلم كم غفل من الوقت، أخرج محفظته وقبل أن يفتحها انسلت من بين أصابعه وسقطت على الأرض بجانب السرير، مال وهو لا يزال ممدًا على السرير، وبينما هو يلتقط المحفظة، لمحه تحت السرير، كتاب مهترئ الأوراق.

أمسكه بلا تردد، وقلّبه أولًا بدون أن يفتحه، كان بلا عنوان، واصفرار مرور السنين ترك أثره عليه، فتحه وبدأ في الاطلاع. لم تكن كل الصفحات بحالة تجعلها مقروءة، ولكن صفحة من الأول وصفحة من الآخر كان يحاول أن يقرأ. في البداية كان الاستمتاع ما يحوز عليه، والفضول بشدة، ولكن الأمر أصبح ارتيابًا ثم رهبة، فالكتاب يتحدث عن السحر، وقطع أيدي موتى، وذبح الطيور ورسم الأشكال بدمائها، وعمل دوائر من نار وترديد العديد من التعويذات بداخلها، والنزول إلى مياه النيل بالملابس وخلع الملابس بداخل المياه، ثم الخروج عاريًا، وألا ينظر وراءه، وأيضًا العديد من الكلمات التي يجب أن تقال، وما بعث الرعشة في أوصاله، ما كتب على الهوامش بخط اليد، كانت كل تجربة كتبت بالكتاب تجد بجانبها ملاحظات،

تظهر بوضوح أن كاتبها كان يُنفِّذ كل ما كُتب الكتاب بالحرف. ويكتب ما حدث معه"

"بعد ما عملت الدايرة وقلت جواها المكتوب من ساعتها وشما بيجوا في أي وقت بيعدوا من قدامي واكنهم مش شايفني، بيخرجوا من الحيطة، ناس زينا بالضبط بس طوال شوية"

أغلقَ الكتاب ونظر صَوْبَ الحائط الذي قال عنه المشعوذ إن الجن أو الشياطين -أيًّا كانوا- يخرجون منه، وشعر وكأن شيئًا سيخرج منه، ولكن الحمد لله لم يحدث، وعاد للقراءة.

"من ساعة ما جبت الايد المقطوعة من المشرحة، وفي واحد قاعد في ركن الأوضة، ما بيعملش حاجة غير إنه بيزووم، حاولت أكلمه أكتر من مرة لكنه ما بيردش وكأنه مش شايفني"

أغلق الكتاب ونظرَ صوبَ الركن الأيمن في الغرفة ولا يعلم لماذا شعر وكأن يقينًا في داخله أنبأه أن هذا الركن هو الركن المنشود.

"من ساعة ما رجعت، وأنا جسمي متكسر مع إني معملتش حاجة خالص، ولا كأن في ميت حجر فوق صدري، كتافي تقلت أوي، المفروض إن دي كده آخر حاجة"

توقف عن القراءة للحظة وهو يفكر "آخر حاجة في أيه بالضبط؟"، ما الذي كان ينتظر المشعوذ حدوثه بعد كل ما فعله، وبينما هو يفكر، انتفض من مكانه بقوة، فقد سمع مَن يهمس بجانبه، التفت بسرعة ولم يجد أحدًا. قام مفزوعًا ونظر تحت السرير وداخل الدولاب ووراء الكرسى ولم يجد أثرًا لشيء واحد، يكاد يقسم أنه سمِع همسًا غير مفهوم، ولكن تسمّر هو فجأةً، فقد سمع الهمس مرة أخرى ولكن هذه المرة بوضوح.

"دا واحد منهم"

بالطبع دبّت كهرباء الخوف في مفاصله، ونظر صوب الباب، وشرع نحوه بسرعة لا يريد أن يلتفت والهمس لم يعد همسًا، بل حديثًا واضحًا.

"دا عايز يمشي"

وصل عند الباب، وأمسك بمقبض الباب، فتح الباب ليجد بابًا آخر، فتحه ليجد ثالثًا، فتحه ليجد بابًا رابعا، هنا انتفخت عروق رأسه، فقد أدرك الأمر، لقد بدأ أمر ما، وسيعيشه بكل أسف.

تجاهل الأصوات التي بدأت في التزايد، واتجه صوب الكتاب وفتحه من آخره يبحث عن آخر هامش كتبه المشعوذ، ووجده.

"الكلاب فاكرين عملت كل دا عشان ابقى عبد عندهم، دا أنا اللي كنت هجبهم كلاب عبيد عندي، ييجوا يعملوا كده فيا، بس مش هسبهم هولع فيهم، هعرف ازاي أأذيهم، بس اطلع من الأوضه الزفت دي الأول"

عاد يُقلّب الصفحات بحثًا عن المزيد من الهوامش

"أنا المفروض اعمل زي الكتاب ما قال، بس أنا هحضر أربعة مش واحد"

وفي نفس الصفحة وجد الهامش التالي

"عملتها، وحضرت الأربعة، بس طلعوا مش زي ماكنت فاكر، الموضوع طلع أفظع بمراحل، دول أربعة مش .. مش .. المفروض أقول ايه .. دول بالنسبة للتانيين مجرمين سفاحين حاجة زي كده .. دول شياطين للشياطين نفسهم"

أغلق الكتاب وهو يفكر فيما قرأه. شياطين أفظع من الشياطين، اللعنة.. اللعنة .. اللعنة، صوت تنفّسَ بجانب أذنه، تحجّرَ هو حتى توقّف تنفسه ذاته، وأصبح يخشى ابتلاع ريقه. بدأت الأبواب التي كان يحاول فتحها في الانفتاح وحدها واحدًا تلو الآخر وبعنف تجعله يصطدم بالباب الذي سبقه، بدأت الأبواب تفتح أسرع وأسرع وبعنف أقوى وكأنها أوراق كوتشينة في يد موزع أوراق محترف، وفجأة توقف كل شيء وفُتح آخر باب بهدوء شديد، جرى نحوه بسرعة، ولكنه تسمّر أمامه، الطريق كان خاليًا، مثلما جاء فيه منذ قليل، ولكن وَقْع الأقدام الرتيب الذي يصعد السلالم كان قاتلًا. دبّ الرعب في أوصاله، كأنهم عدة أشخاص يصعدون قادمين إلى هنا. لم يكن يفكر في هذه اللحظة سوى في الأربعة الذين تحدّث عنهم المشعوذ، وَقعُ الأقدام اقترب بقوة، عندها لم يحتمل وبدون تفكير التفت وجرى صوب النافذة وقفز منها بدون تفكير.

***

"يعني في أمل يا دكتور؟!"

"بنحاول والله يا مدام، بس زي ما أنت شايفة قدامك فعليًّا ما فيش أي تحسن للأسف. كل يوم يقف فوق السرير ويرمي نفسه من فوقيه زي ما يكون بينتحر ويقع ويمثل دور الميت وينام على الأرض وتاني يوم يمثل نفس الموضوع إن في جن وشياطين بتطارده، ومشعوذ بيحضر عفاريت، بس أكبر ميزة إن حضرتك جيتي، احنا قلنا إن مالوش قرايب أو حد يعرفه، داه يبقى أكبر علاج ليه"

"ممكن ادخل أسلم عليه؟"

"ما فيش مانع بالتأكيد"

دخلت عليه، لم ينظر نحوها، كأنها غير موجودة، اقتربت منه ببطء حتى أصبحت بجانبه، اقتربت من أذنه حتى أصبح صوت تنفسها داخل أذنه، وتسمّر هو بلا حراك.

قالت بصوت هادئ:

"هو ايش عرفك إن اللي كاتب الهوامش واحد راجل مش واحدة ست"

قالتها وخرجت..

وجرى صوب السرير وقفز من فوقه وهو يصرخ بارتياع: "أنت مش عارف حاجة يا دكتور"

واصطدم بالأرض بقوة، وظلّ ثابتًا ونام على الأرض.

قابل الدكتور المرأةَ:

"معلش ربنا يشفيه إن شاء الله، بس النهاردة أول مرة يتكلم وهو يمثل الانتحار، ويجيب سيرة الدكتور حاجة غريبة أنتِ قولتيله حاجة؟"

لم تجبه، وقالت: "هبقى أجيله تاني عشان اطمن عليه"

***

نشوى 24 ساعة



عندما تمر الثواني وكأنها ساعات ..

ولا تدري هل مرت أم ما زالت في طور الثبات ..

***

الساعة 8.00

استيقظت وتثاءبت ببطء، مطّت ذراعيها وهي لا تزال تتثاءب، مَن يراها يشعر أنها ستظل هكذا تتثاءب لساعة مقبلة، تتحرك ببطء شديد، ولم لا؟!، ما الذي ورائها ليدفعها للإسراع، لا يوجد شيء تسعى إليه من الاستيقاظ صباحًا سوى أنها ستنام ليلًا، الزوج رحمه الله منذ زمن، رحل في زمن الصبا، وتركها وحدها مع ابنين، أين هم الآن؟، كلٌّ يسعى في دُنياه، لا تدري عنهم شيئًا، ولا تسعى لأن تعرف. كان العمل يملأ حياتها حتى النخاع، ولكنها خرجت البارحة على المعاش، وبدأت الدخول في عالم الملل، ذلك الملل الذي يصنع المرض، وكأن كل من يخطو حياة المعاش، عندما لا يجد ما يملأ به حياته، فيلجأ للمرض، فهو كفيل بملء حياة من كان. لم تنسَ زميلها في العمل، كان في أفضل حال، بعد خروجه على المعاش بأسبوع، شاهدته في الطريق يحمل كيسًا كبيرًا، مليئًا بالأدوية عن آخرها،

عشرة أصناف على الأقل، وعندما سألته عن الحال، أجابها بأن: "العضمة كبرت"، وظلّت تفكر ألم تكن هذه العضمة المريضة على أحسن ما يكون من شهرين بالضبط: "هل أنا الآن في انتظار المرض؟"، سألت نفسها ولم تجا.ب.

تغسل وجهها وتحدِّق في المرآة وتتذكر ابتسامتها وقتَ تسلُّم جائزة أفضل مديرة، وجائزة الأم المثالية؛ تسلّمت العديد من الجوائز وشهادات التقدير على مدار حياتها، كيف لا وهي التي كانت تعمل بمثابة ثلاثة رجال، وكان يهابها في العمل أعتى الرجال، فهي تحفظ قواعد العمل عن ظهر قلب، وتقرأ الوجوه والقلوب بسرعة، وتدرك مغزاك من أول كلمة ومن أول نظرة أحيانًا، هذا ما تعلمته بعدما تركها زوجها. الذي في جمالها كان كالذي يعمل في غابة وليس في شركة، مَن يراها يُقسِم أنها لم تتجاوز الأربعين، كانت بحق مثالًا للكفاءة والأخلاق.

وهنا كانت المشكلة، أنها لم تعرف في حياتها سوى الكفاءة والأخلاق، إنها تحدق في نفسها في المرآة وتدرك جيدًا أنها في حاجة إلى شيءٍ ما، هناك شيء ما ناقص، لا تدرك ما هو، إنها في حاجة إلى شيءٍ ما، إنها ليست مراهقةً متأخرة أو شعور بالوحدة، إنها لا تحتاج إلى رجل، إنها تحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك.

ارتدت ملابسها وقررت النزول بسرعة.

***

الساعة 10.00

وقفت أمام أشهر كوافير في وسط البلد، دخلت وطلبت قصة الشعر التي تريدها، وفي نفس الوقت كانتا المسئولتان عن المانيكير والباديكير تعملان على يديها وقدميها، وفي خلال ساعة واحدة فقط انتهت من كل شيء، خرجت من الباب وهي تشعر بأن ملمس الشمس على وجهها له ملمس آخر، وكأن الدنيا كانت أبيض وأسود ثم أصبحت ألوانًا. وهي تمر من أمام إحدى الواجهات الزجاجية، رأت نفسها، هذا النيولوك يحتاج إلى ملابس جديدة، واتجهت إلى شارع قصر النيل، وقامت باختيار أجمل الملابس الراقية التي كانت تنظر لها في السابق وتتعجب من النساء غير المحتشمات اللاتى يرتدين مثل هذه الملابس، ودخلت غرفة تغيير الملابس، وخرجت وهي مرتدية الملابس الجديدة، وجميع البائعات ينظرنَ إليها وقد تركنَ عملهن، والصدمة صارخة على وجوههنّ، ولكن السيدة "نشوى" اتجهت صَوْبَ الكاشير ودفعت الحساب ولم تلتفت إلى أيٍّ منهنَّ ولا حتى إلى ملابسها القديمة التي تركتها بالداخل ولا حتى إلى الحجاب الذي تركته مرميًّا على الأرض بجانب ملابسها.

خرجت من المحل وقد بدأت تشعر بالراحة.

***

الساعة 12.00

تسير حيثما تأخذها قدميها، ما زالت إلى الآن تتذكر صديقتها منال في الجامعة، التي كانت تترك شعرها بدون حجاب. كانت تشعر بالغيرة لأن شعرها أحلى من شعر "منال" بكثير في حين أن الأنظار متجهة نحوها هي، لأنها تضع الماكياج وشعرها منطلق بحريته، إلى الآن تتذكر شعورها نحوها، وكم كانت تتمنى أن تسنح لها الفرصة كي تُري الجميع جمالها، ولكنها في النهاية لم تكن تملك إلا أن تحوِّلَ شعور الغيرة إلى شعورٍ بالاشمئزاز، وأنها بنت فاضية وقليلة الأدب.

وقفت أمام محل فوقه يافطة بالإنجليزية، له باب خشبي جميل بداخله مربعات من الزجاج غير الشفاف، دفعت الباب ودخلت وبمجرد دخلوها علمت أنه بار، كادت تلتفت وتخرج، ولكنها توقفت للحظة ثم قررت وذهبت صَوْبَ البار ذاته، لم تجلس على أيٍّ من المناضد، جلست على أقصى البار، جاءها الساقي يسألها، لم تعلم بما تجبه فهي لم تشرب من قبل، وجاء الصوت من خلفها"

– هاتلها الكوكتيل بتاعي يا أتش.

– حالًا يا مستر "أشرف"، وحضرتك؟

– برضه.

وقبل أن تلتفت كان أشرف جالسًا بجانبها. رجل يشبه ممثلي السينما، وجدت عينيه تتمعنان في تفاصيلها.

- مش بدري أوي إن حضرتك تشربي دلوقتي؟!

لم تُرد أن تظهر بمظهر المبتدئة مع أنها تدرك أنه يعلم يقينًا أنها أول مرة تدخل خمارة.

- ما فيش .. كنت متضايقة شوية.

- تصدقي وأنا كمان .. دي أحلى صدفة يا ...

- نشوى.

وطال بعدها الحديث عن سبب مجيئها وضيقها، وبعدها صار الكلام في كل شيء، حتى عرض عليها أشرف أن يخرجا للتمشي قليلًا، وخرجا يتجولان في الشوارع حتى وصلا أمام عمارة فارهة في آخر شارع شريف، وقف أمامها وقال:

- أنا ساكن هنا.

تطلّعت نشوى بعينيها صوب المبنى ولم تعلّق.

- تحبي تطلعي معايا؟

لم تجبه أيضًا ولكن كان في عينيها القبول، لم يمر الكثير كانت اللحظة التالية في سريره، وهو يهتز فوقها، لم تكن تشعر بأي متعة من النوم معه، حتى أنها كانت شاردة إلى أقصى حد، تتداخل الأفكار في رأسها بسرعة شديدة، كانت تشعر بمتعة أخرى، متعة طفل اختطف قطعة حلوة لا تخصه، متعة مِن طعم لم تشعر به من قبل، ووسط ذلك لا تعلم لماذا أتى إلى ذهنها صورة "هنادي" التي معها في العمل، تلك المرأة العانس ذات السراويل الضيقة، والتي يعلم الجميع أنها نامت

على الأقل مع نصف رجال المكتب، ومع ذلك لم يكن يجرؤ أحد على أن يقول لها شيئًا.

وهنا تذكرت ابنها الأكبر هشام، الذي لا يتصل بها، ولا يزورها، منذ زواجه من الشيطانة زوجته "رهام"، وكيف أن اليوم الوحيد الذي جاءت تبيت فيه معهم، لم يسهر ابنها معها، بل يظل يتثاءب أمامها، وكأن هناك شيئًا في فمه يمنعه من إغلاقه، وعندما دخلا للنوم، خرجت هي لتجلس وحدها في الصالة وتستمع إلى آهات زوجته التي يضاجعها، طار النوم من عينيك أم ماذا أيها الابن العاق، الذي لم تستضف أمك كما استضافتك هي في بطنها تسعة أشهر.

***

الساعة 14.00

لا تعلم هي لماذا تأتي كل هذه الخواطر إلى رأسها، بينما يقوم أشرف بفعل كل شيء بجسدها، بعدما انتهى أشرف قامت هي مسرعة، وارتدت ملابسها.

– إلى أين يا نشوى.

– الليلة لم تنتهِ بعد يا حبيبي، انتظرني ولا تخرج من الغرفة حتى أعود إليك، سأتيك بمفاجأةٍ في ظرف ربع ساعة لا أكثر.

ارتفع حَاجِبَاه، وهو الذي ظَنّ أَنها لم تتجاوب ولم تستمتع معه، يظهر من حديثها أَنها استمتعت للغاية وأنها تُخبِّئ المزيد، يَا لَلنساء! لن تفهمهن أبدًا يا أشرف.

اتجهت إلى الخارج، بعدما قبّلته، أخرجت تليفونها قبل أن تخرج من الشقة، واتصلت برهام زوجة ابنها هشام.

– أهلًا أزيك يا رهام.

– أهلًا أهلًا أزيك يا ماما، عاملة أيه؟

– الحمد لله، أنا بس في موضوع كنت عايزة أكلمك فيه.

– خير؟

– أنا وأنا نازلة من الشغل النهاردة تعبت شوية وجيت عند واحدة صاحبتي في وسط البلد هنا جنب شغلكوا.

– ألف سلامة يا طنط، وبعدين أنت عاملة أيه دلوقتي؟

– كويسة بس كنت عايزاكي تجي تخديني بس من غير ماتقولي لهشام عشان مايقلقش.

– حالًا يا طنط اديني بس العنوان وعشر دقايق وهتلاقيني عندك.

– ماشي يا رهام.

أغلقت السماعة بعدما أعطتها العنوان وانتظرت عشر دقائق وبعدها اتصلت بهشام، هشام ورهام يعملان في نفس المؤسسة في وسط البلد، ظلّت واقفة وراء الباب في انتظار وصول رهام حتى

وصلت وقبل أن تطرق الباب فتحته ودعتها للدخول، وبمجرد أن رأتها رهام في شكلها الجديد:

– خير يا طنط القتيني عليكي، وأيه اللي عمل فيكي كده.

– ادخلي .. دا موضوع طويل هحكيهولك استنيني بس دقيقة واحدة وجايلك.

– حاضر.

قالتها رهام وهي لا تفهم أي شيء، والتعجب يتملكها، خرجت نشوى ووقفت خارج الباب لدقائق كان هشام قد وصل فيها إلى الشقة.

نظر هشام لأمه باستغراب: أيه اللي أنتِ عاملاه في نفسك دا يا ماما؟!

– دا موضوع كبير يا حبيبي .. شوف بس المصيبة اللي احنا فيها دي دلوقتي.

– ايه أنتِ جبتيني من وسط اجتماع مهم جدًّا، وخضتيني أيه الموضوع؟

– مراتك جوا مع واحد شفتهم بالصدفة وأنا ماشية في وسط البلد وطلعت وراهم لحد هنا.

– رهام .. جوا مع واحد؟!

لم ينتظر هشام تعقيبها وهرع صوب الباب وقرعه بكل ما أُوتي من قوة وعنف، فتحت رهام الباب، ووجدت رهام هشام أمامها:

– هشام؟!

– أيوه هشام يا بنت الكلب.

وهوى على وجهها بصفعة أردتها أرضًا، وعلى صوت المشاجرة خرج أشرف من غرفته، مرتديًا منشفةً تغطيه من الأسفل، اتسعت عينا هشام، وصار ينفث الزفير كالثيران، وقبل أن ينبس أشرف بأول حرف كانت مطفأة السجائر الزجاجية التي على المنضدة بجوار الباب مستقرة في رأسه. التفت هشام صوب رهام ووجدها غارقة في دمائها، فقد هوت واصطدمت رأسها في سن منضدة خشبية ذات طابع عتيق، وعلى صوت المشاجرة كان في ظرف دقيقتين، السكان المجاورين، ومن بينهما كان الرائد مدحت، اتصل بالبوليس الذي جاء في ظرف ربع ساعة.

وعلى أحد كراسي الصالون كان الرائد مدحت جالسًا وأمامه هشام ونشوى.

– يعني اللي حصل يا أستاذة نشوى بناء على كلامك، إنك شفتي مراة ابنك طالعة مع واحد فطلعتي وراهم وكلمتي ابنك هشام عشان يجي ويشوف ايه اللي بيحصل؟

– اه هوا دا اللي عملته ويارتني ماعملته، ماكنتش اعرف إن كل دا هيحصل.

وشرعت في البكاء والنحنحة

- اللي حصل حصل خلاص، الحمد لله إن رهام ما ماتتش، ويارب تفوق من الغيبوبة اللي وقعت فيها، عشان نبقى نسمع أقوالها، بس الأستاذ أشرف هوا اللي خلاص تعيشي أنت.

- يعني ابني كده .. ايه هيعدموه؟

قالتها بارتياعٍ جعل الضابط يشفق عليها:

- لا لأنها مش مع سبق الإصرار والترصد وكمان داخل فيها عامل الشرف، وباقي الشغل على المحامي اللي هيدافع عنه، بس لحد وقتها هوا هيبقى في الحجز، وممكن يترحل مسجون احتياطي لحد القضية ما تخلص.

اومأت برأسها وهي تبكي، وهي ترى هشام وقد وضعوا الأصفاد في يديه واقتادوه إلى عربة الشرطة تحت البناية.

نزلت معه، واقتربت منه قبل أن يصعد للعربة من الخلف:

- لا تقلق يا حبيبي.

كان هشام زائغَ البصر ولم يجبها، والانهاك من الصدمة ظاهر على ملامحه.

واتجهت السيارة إلى وجهتها.. ألا وهي المخفر، في حين اتجهت نشوى إلى جهةٍ أخرى كعادها هذا اليوم .. إلى حيث تأخذها قدميها.

***

الساعة 16.00

إلى أينما أخذها قدميها تتحرك، تسترجع شريط حياتها قبل اليوم، حتى اليوم صباحًا، كانت امرأة أخرى تمامًا، لماذا تفعل كل هذا؟ عندما تفكر في الأمر، وتصل إلى أنها تسترجع ما فعلته في ابنها، تتوقف عن التفكير، وتمطُّ شفتيها وهي تحدث نفسها، "وأيه المشكلة .. أنا اعمل اللي أنا عايزاه .. اللي أنا عايزاه وبس، وبعدين هشام سنتين وهيطلع.. عادي جريمة شرف، مش هيغيب في السجن، هي بنت الكلب اللي فلتت"، تتوقف للحظات وهي تسير، من أين يأتي كل هذا الغل والحقد الذي بداخلها، في لحظات وكأنها ومضات تتساءل بداخلها.."أنا مين؟ أنا نشوى عبد المعطي بجد ولا حد تاني؟!"، السؤال تعمّق بداخلها إلى حد أنها شعرت بأنها تريد مرآةً لترى نفسها بها وتتأكد، هزّت رأسها وهي تحاول أن تطرد كافة الأفكار التي برأسها. إلى أين أخذها قدماها؟ لقد استقلت المترو ونزلت عندما ملّت منه، وخرجت من المحطة، سارت لعدة دقائق ووجدت نفسها أمام الكنيسة المعلقة، دخلت، وجدت بعض الحدائق ودَرَجًا عاليًا يقود إلى الكنيسة بالأعلى، صعدت وهي ترمق الوفود الأجنبية، ومجموعة كبيرة من الأطفال يقودهم رجلانِ وامرأة قد تكون رحلة مدرسية. دلفت داخل الكنيسة، والتقطت كتيبًا من الكتيبات المعلقة بجانب الباب، فتحته والقته على الفور، دارت في المكان بين الكراسي الخشبية الطويلة، وجدت بعضًا من الشمع ذهبت إلى ركن الشمع وأشعلت شمعة، ورفعت عينيها تدور بين وجوه

السيدة مريم العذراء والسيد المسيح، خرجت بسرعة وبينما هي متجهة للأسفل، وجدت في منتصف الدرج صندوق زجاجي موضوع داخل الحائط بداخله صوة مارجرجس وهو يقتل الوحش، وفوقه يافطة صغيرة كُتب عليها، :تقبل تبرعاتكم للأطفال اليتامى، نظرت حولها، وأخرجت من حقيبتها إحدى أدوات المكياج وهوت به على اللوح الزجاجي هوت الصورة على الأرض، ومن ورائه قابعة الجنيهات والفلوس المعدنية القليلة، التقتها ووضعتها في حقيبتها، دارت على عقبيها، فوجدته في وجهها، أسود حالك السواد ويرتدي ملابسَ رهبان؛ شيء كالكتان أو قماش غليظ وحول وسطه حزام كالحبل من القماش لونه أبيض، يبدو عليه أنه ليس بمصري، هزّ رأسه مستفهمًا، وعلى عينيه الاستفهام الشديد والحيرة وبعضٌ من الشفقة، نزعت هي نظارتها، واقتربت منه بشدة حتى أصبح زفيرها يصطدم بوجهه، وبعينين متسعتين وكأن جسرًا امتد من عينيها إلى عينيه، امتعض وجهها ومطت شفتيها وهي تقول "في حاجة؟" لم يفهم عبارتها، ولكنه فهم بالتأكيد لغة عينيها. انتفض راجعًا للخلف، في حين اصطدمت به هي وتخطته، وخرجت خارج الكنيسة.

خرجت تسير خارج الكنيسة والأموال تسقط من يديها، وهي غير عابئة، فتحت حقيبتها تبحث عن مسكن للصداع، الذي أَلَمّ بها فجأة، ظلت تقلب الحاجيات التي بداخل الحقيبة، ووجدت تلك الورقة المطوية، استفزتها فالتقطتها وفتحتها ووجدت بداخلها رقم تليفون كتب تحته "الحاجة نفسية".

"الحاجة نفسية" .. تذكرت الآن. الصداع الذي كان يأتيها مرارًا ولم يجد له الأطباء حلًّا، سوى أن قالوا لها في النهاية إنه صداع عصبي نتيجة ضغوط العمل، نصحتها زميلتها في العمل بالذهاب إلى الحاجة نفسية لتعمل لها عملًا يرقيها من الحاسدين الكُثر الذين حولها ممن يحسدونها على جمالها وعلى ترقيها في العمل، ولكنها لم تستمع لها، ولكن يبدو أنها ستفعل الآن، إنه وقت الذهاب إلى "الحاجة نفيسة".

***

الساعة 18.00

تقف أمام مساكن عشوائية، منطقة فقيرة للغاية، خرج من إحدى أزقة أحشائها طفلٌ صغير يرتدي فانلة داخلية وسروال جينز مهترئ قصير وبرغم سنه الصغيرة تظهر على ملامحه قسوة السنين، بضعة أيام هنا وتضطر أن تصبح رجلًا وإلا أُكلت كما تؤكل النعاج. لم تكن ترى هذه المناطق سوى في الأفلام وخاصة التي انتشرت في الفترة الأخيرة.

"تعالي معايا يا مدام"

سارت خلفه، وهي صامتة تسير في أزقةٍ وحوارٍ عديدة، لم تكن تفكر في الطريق أو في حفظه للعودة، بل في العيون التي تأكلها تحديقًا، من رجال ونساء، ولكن لا يجرؤ أحدهم حتى على سؤالها، إنها ضيفة الحاجة نفيسة.

مجرد امرأة عادية تعيش في شقة عادية، لم يكن الوضع كما تخيلت نشوى إطلاقًا، جلست أمامها الحاجة نفيسة وقالت بلهجة الخبير والعارف ببواطن الأمور..

- خير؟

- عايزة اعمل عمل لحد معين.

- تعمليله ايه؟

- مراته مابتخلفش وشكلها كده عملاله عمل مخلياه لازق فيها، عايزة حاجة افرق بيها ما بينهم أو على الأقل يشوفها بصورتها الحقيقية.

- هو اسمه ايه؟

- أحمد؟

- أحمد أيه؟

- أحمد حسين.

- لا أقصد أمه اسمها أيه؟

ترددت نشوى للحظة، ثم قالت:

- نشوى عبد المعطي.

- اممممم .. دا ماما متضايقة عشان ابنها ونفسها في حفيد.

قالتها الحاجة نفيسة وهي تقهقه عاليًا بصوت متحشرج وأسنان صفراء من شرب السجائر في الغالب.

- عيني.

- بس أنا ماعيش حاجة ليه!

- هههههه .. دا شغل أفلام يا مدام .. سيبك من الكلام دا.

- يعني مش عايزة مني أي حاجة تانية؟

- صورة .. معاكى ليه صورة؟

فتحت نشوى حقيبتها بسرعة وأخرجت صورة قديمة له وناولتها للحاجة نفيسة.

- شغالة.

- حاجة تانية؟

- المعلوم.

- المعلوم؟

- الحساب يعني.

- اه .. اه .. حالًا اللي تؤمري بيه.

وبينما تخرج نشوى النقود كومت الحاجة نفيسة الصورة بدون أن تراها، وأخرجت كوباية من تحت كنبتها، وأشعلت بداخلها النار، وألقت بداخلها الصورة وكوّمت الرماد ووضعته في داخل يدها، واتجهت إلى الداخل وغابت عن الأنظار، عادت وفي يديها لفافة صغيرة.

- اتفضلي.

– دا ايه دا؟

– العمل يا هانم.

– واعمل بيه ايه؟!

– تأويه في أي حته .. أي حته ما تقدرتش مراة ابنك تلاقيه فيها، ويستحسن يتحط في كفن أي واحد ميت فيترل بيه مايطلعش تاني.

أومأت نشوى برأسها.

***

الساعة 22.00

تقف نشوى أمام مقابر العائلة، هنا يرقد أبوها وأمها وزوجها أيضًا، فهو من العائلة. الجو ساكن ويبعث الرهبة في الأوصال، "ما الذي يجب أن تفعله الآن"، لم تكثر في التفكير فقد جاءها الجواب فورًا من خلفها:

– اؤمري يا مدام.

التفتت فوجدته حارس المقبرة العجوز.

– كنت عايزة أقرا لهم الفاتحة.

نظر لها نظرةً مريبة وعيناه تقولان "حبك دلوقتي قراية الفاتحة"، ولكنه تغاضى عن الأمر في سبيل الحصول من المدام على بضع جنيهات.

- أنتِ تؤمري حضرتك.

فتح الباب ودلف هو أولًا، وهي من خلفه، وبينما هو يلتفت، هوت نشوى بحجر على رأسه من الخلف فهوى الرجل من فوره بلا حراك. هرعت بسرعة، تنبش بيدها كالمجنونة في الأرض حتى وجدت البلاطات العريضة، لم تستطع حملها بالطبع، شرعت في زحزحتها حتى بان بعض ظلام المقبرة من الداخل، عادت ودست العمل في فم الرجل، وسحبته صوب الفتحة، وشرعت تدفعه دفعًا كي يسقط بداخلها. بالتأكيد كسرت له عدة أضلاع ومفاصل وهي تدفعه وتكومه حتى يمر من الفتحة، ومرّ منها بالفعل، وأعادت البلاطات وغمرتها بالرمال قدر المستطاع، وعادت خارجة من المقبرة بأسرع ما يكون وهي تنفض الأتربة عن نفسها قدر الإمكان.

***

الساعة 1.00 بعد منتصف الليل

دلفت إلى مترو الانفاق، وجلست على أقرب منضدة رخامية، ترقب رحلة المترو الأخيرة، وجدت أحدهم قادمًا يبحث عن مقعد للجلوس، إنه الأستاذ عطية زميلها في العمل، وبدون أن تشعر أو تفكر، صاحت:

- أستاذ عطية!

التفت لها الرجل ذو الشعر الشائب، والنظارة الغليظة، والبدلة ذات التفصيلة القديمة، وتحرّك نحوها ببطء بظهره المنحني، وتعمق في ملامحها يستعلم من هي.

- أستاذة نشوى!

ابتسمت نشوى لأنه عرفها في شكلها الجديد، اقترب منها وجلس بجوارها وتفحص فيها بملامحه التي تبعث الهدوء في من ينظر إليه، تشعر نحوه من أول مرة بأنه الأب أو الأخ أو أيّ من هذا القبيل.

ضحك عطية وهو يقول ملمحا على شكلها الجديد:

- دا الدنيا اتغيرت من ساعة ما أنا ما طلعت معاش.

ضحكت، ولم تعلق.

أكمل هو: - شكلك غريب.

- تقصد أيه؟

- مش عارف .. أنتِ أكيد اللي عارفة.

قطع حديثها المترو الذي أتى وبدأت عرباته في دخول المحطة، وقبل أن تقوم نشوى رأت انعكاس صورهما على زجاج عربات المترو المتحركة وحدها بدون الأستاذ عطية، التفتت بسرعة صوبه فوجدته لا يزال جالسًا.

- اقعدي يا مدام نشوى.

جلست نشوى.

– هوا أنا اتجننت خلاص وبقى بيتهيألي؟!

– لا أنت ما اتجننتيش ولا حاجة .. أنا مش أستاذ عطية أساسًا!

– أمال أنت مين؟!

– مش مهم أنا مين.

نظرات الركاب في المترو الأخير المزدحم تراقبها، وكـــل منـــهم يرسم قصة في خياله عن شكلها، وعن سبب عدم ركوبها المترو مع أنه الأخير، حتى إن أحدهم صاح بها أن هذا هو المترو الأخير، وأُغلقت أبواب المترو، وظلّت نشوى جالسة بجانب هذا الذي بجانبها أيًّا كان.

– أنتِ عملتي كل دا ليه؟

– عملت ايه؟!

– كل اللي أنتِ عملتيه، من أول شكلك اللي غيرتيه، وأشرف، وابنك هشام، ومراته اللي بايته في المستشفى بسببك، والراجل اللي قاعد يصرخ جوا المقبرة دلوقتي عشان حد يسمعه وينقذه.

اتسعت عينا نشوى..

– هوا ما ماتش؟!

– لأ .. شفتي سبحان الله! .. تُشفيه تقولي رجله والقبر وبعد كل اللي عملتيه فيه ما ماتش.

– أنت عايز أيه بالظبط وأنت مين؟ .. أنت جن ولا شيطان ولا أيه بالظبط؟!

– وهو أنتِ لما تعرفي هيفرق معاكي .. احنا بنقعد سنين عشان نخلي الواحد منكوا يعمل حسنة واحدة من اللي عملتيها النهاردة، وأنتِ جيتي كده فجأة وتقومي عاملة كل حاجة وفي يوم واحد .. ليه؟!

نظرت نشوى للأرض وقد بدأت الشجاعة تدبُّ في أطرافها:

– وهو أنت هيفرق معاك في أيه؟

ضحك مَن هو على شاكلة عطية.

– أنا مش فارق معايا في حاجة .. بس أنتِ بقيتي حاجة كده مش عارف أوصفهالك ازاي .. زي مثلا برنامج مشهور الكل عندنا بيتابعه، مش فاهمينك ومش فاهمين أنتِ بتعملي أيه وليه! أنتِ عملتي أكبر سبع خطايا.

– أكبر سبع خطايا؟!

– آه .. أنتِ قتلتي أشرف بعملتك، وشهدتي زور للظابط، وعملت سحر لابنك التاني، وأخدت مال يتامى، وزنيتي مع أشرف، وفرقت بين ولادك وزوجاتهم، وأخيرًا بذرتي بذرة فساد وشر.

صمتت نشوى للحظة وكأنها تسترجع كل ما فعلته، ورددت ما قاله في تعجب:

– بذرة فساد وشر!!

– أيوة .. اللي في بطنك دلوقتي وبيتكون .. أنتِ مش نمتي مع أشرف ولا أيه ..

قالها وظلّ يضحك للحظات.

– أنت تقصد إن أنا حامل!! أنت أكيد بتكدب ..أنا عندي ستين سنة يا مجنون!

– قدرة ربنا .. ومحدش يقدر يدخل فيها.

قامت من جانبه وهي تتفكر في كلامه، سمعت صوته من ورائها.

– يعني مش عارفة بتعملي كل دا ليه؟

لم تجبه نشوى وغادرت المحطة.

***

الساعة 8.00

استيقظت والصداع يقتل رأسها، قامت وهي تتخبط صوب الحمام، ودخلت وهي تنوي أن تغسل وجهها بالماء البارد علّه يُهدِّئ من الصداع المنتشر بأطراف رأسها. ياله من كابوسٍ لعين! كم هو ممتع أن تخطئ كما تريد في أحلامك، ثم تستيقظ لتدرك أنك ما زلت في أمان! وبينما هي تهوي بالماء على وجهها مرارًا، سمعت رنين الهاتف؛ لم تتحرك ظلّت ساكنة في انتظار النداء الآلي ليجيب على الهاتف.

– السلام عليكم .. هنا منزل المرحوم حسين عبد الخالق وحرمه نشوى عبد المعطي برجاء ترك الرسالة بعد سماع الصفارة.

سمعت صوت أحمد ابنها يأتيها:

– الحقيني يا أمي .. مصير .. تخيلي أنا وسعاد .. مش هتصدقي

لم تسمع نشوى بقية الحديث، فقد أرادت أن تتأكد من شيءٍ آخر، رفعت رأسها لترى نفسها في المرآة، وجدت وجهها وشعرها في شكلهما الجديد، تجمدت لثوانٍ تذكرت فيها كل ما حدث، وصوت عطية يرد في أذنها إلى الآن وكأنها تجيبه عن سؤاله.

"هل أكون قد جُننت .. من أول لحظة ملل؟!"

***

الشيخ سليمان



الشيخ سليمان

ليس شيخًا لكبر سنه، فهو لم يتجاوز الثلاثين بعد، ولكنه ملتزم ويرتاد المسجد، ومن حفظة القرآن وفوق كل هذا له لحيةٌ كبيرة، هي ما خوّلته في الحصول على هذا اللقب، يعيش وحيدًا فهو من الصعيد الجواني. أتى إلى المنطقة منذ سنتين ثلاثة ويعمل نقّاشًا، والحق يقال إن يده تُلف في الحرير -كما يقولون-، كما أنه أمين للغاية، ويسعى دائمًا إلى تطوير ذاته عن طريق تعلم الجديد في المهنة، ويسعى أيضًا إلى تطوير نفسه في العلوم الدينية فهو يتعلم الآن في معهد إعداد الدعاة.

جالسًا وحده وأمامه الطّبْلَيّة، مستقر عليها نصف كيلو مشكل من اللحوم، لكم يعشق الأكل، ويستلذه! يكفي أن تراه وهو يأكل فيفتح شهيتك أعظم من أقوى دواء فاتح للشهية. بعدما انتهى من الطعام، قام وأعد كوبًا من الشاي، أحسّ بالثقل والخدر يزحف في أوصاله، وكما هو جالس على الأرض استند بظهره إلى قدم الكنبة التي خلفه، وأراح رأسه وغطّ في نوم عميق.

استيقظ ووقعت عيناه على الطبلية وما عليها، وجد النمل وقد تجمع فوق ما تبقى من أصابع الكفتة، والتي كان يُمنِّي نفسه بالعشاء بها، هبّ مفزوعًا غاضبًا، وشرع يهوي على الطوابير المتجهة إلى

صفحة الكفتة بالشبشب، وينفض المجتمعين على أصابع الكفتة بأصابعه، يلهث من العصبية، فأسوأ شيء أن يُمنِّي نفسه بشيء ولا يطوله، وفجأةً توقف وشرع ينظر إليهم، وصاح في النمل: ماشي.

وعقَّب بالعربية الفصحى لقد آذيتموني ولولا أنكم تسبحون الله لأتيت عليكم عن آخركم، فإن آذيتموني مرةً أخرى أتيت عليكم وأهلكتكم جميعًا، لكم مني فقط ما يسقط مني على الأرض فتاتًا لكم تقتاتون منه أما ما دون ذلك فهو لي.

تركهم وذهب، ومرت الأيام وفي يوم من الأيام، عائدًا بعد يوم عمل شاق في شقة أحد الزبائن، مرّ على الحاتي وأتى منه بفرخة مشوية على الفحم، ومعها كافة مشتملاتها من سلطة ماؤها يكثر على أكلها فهو عاشق لشرب ماء السلطة والطحينة، تشعر وكأنه مهندس يخطط لعملية، دخل الشقة وبمجرد دخوله، رنّ هاتفه، وجده الشيخ فتحي إمام المسجد الذي يصلي به، تلّقى الاتصال

– السلام عليكم.

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، خير يا مولانا؟

– عايزك تيجي دلوقتي يا شيخ سليمان عشان الواد السباك جه عشان سباكة المسجد، وأنت قلت إنك لازم تبقى موجود عشان تفهمه يعمل أيه بالظبط.

تردّدَ سليمان في الرد، إنه في غاية الإنهاك، ولكنه عمل يخُصّ المسجد ذاته.

- أنت مشغول ولا حاجة يا سليمان؟

- لا .. لا يا مولانا .. عشر دقايق وهتلاقيني عندك.

- خلاص .. السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

ترك سليمان كيس العشاء على المنضدة التي بجوار الباب سريعًا، وذهب وكل ما يفكر به هو الفرخة المشوية، وكيف أنها ستكون بردت حتى يعود، ولكنه يعود ويواسي نفسه بأن بعض التسخين سيجعلها أحسن من الأول، طال الأمر مع السّباك والأمر الذي كان سيأخذ عشر دقائق تخطى الساعتين، والذهن ومن قبله البطن مشغولان في موضع آخر. عاد سليمان بسرعة ساخطًا على هذا الموقف، وهو يأكل الأرض أكلًا ليعود بسرعة.

دخل المنزل وفتح النور، ليجد الكيس على الأرض والنمل قد أتى على الفرخة عن أخرها، حتى عُلب السلاطة والطحينة أتى عليها، يبدو إن الكيس سقط منه سهوًا بعدما تركه بسرعة على المنضدة، وأصبح كالثور الهائج، خلع نعله الجلدي وهوى على النمل وهو يصرخ:

- يا ولاد الكلب .. يا أوساخ .. جيتو على الفرخة كلها.

ترك النعل ودخل سريعًا يبحث عن مبيد حشري وجده، وعاد يرش في جميع أنحاء الغرفة، يضرب بنعله ويرش من المبيد ويسبُّ ويلعن في النمل وفي الهاتف الذي لا يغلقه، لم يتوقف إلا عندما أصابه

السعال من كثرة رشه للمبيد الحشري. وقف ينظر إلى لنمل وهو يتلوى ألمًا من المبيد، والامتعاض على وجهه، ترك الأمر كما وهو ودخل فاتحًا الثلاجة وأخرج بعضًا من الجبن والخبز وشرع يأكل وكل بضعة لحظات يهز رأسه أسفًا

***

أحسّ بوخز في جسده، فتح سليمان عينيه ببطء، ثم أصبح الوخزُ أشدَّ قسوة وفي أماكن متفرقة، استيقظ وهبّ من النوم، فتح النور ليجد سريره عن أكلمه مغطًى بالنمل. قام مفزوعًا ينفض النمل عن جسده، خلع كل ملابسه، ويتفحص بها، ليجدها كلها نملًا، هرع عاريًا صوب الحمام وفتح الدوش، ليجلي من على جسده النمل، مدّ يده صوب الصابونة، وقبل أن يضعها على جسده، نظر فوجدها مغطاةً بالنمل عن آخرها، اتسعت عيناه عن آخرهما.

"من امتى والنمل بيجي على الصابون!! الله يخرب بيتكوا"

رمى الصابونة وشرع في دعك جسده بيديه، خرج من الحمام، وفتح الدولاب ليأتي بملابس أخرى، كلما أخرج شيئًا وجد به نملًا، يسبهم ويرمي الملابس حتى أصبح كالمجنون، نفضَ النمل عن بعض الملابس وارتداها، وانتظر في الصالة حتى أذّن أذان الفجر وهرع بسرعة، فلا يوجد سواه ليشكو له ما حدث، الشيخ فتحي.

***

– هوا دا كل اللي حصل يا شيخ فتحي.

قالها سليمان وهو جالس مع الشيخ فتحي بعد صلاة الفجر، والشيخ فتحي يقهقه عاليًا وبشدة حتى دمعت عيناه وكاد يسقط على جانبه.

- أنا في مصيبة يا شيخ فتحي وأنت بتضحك، دا شيطان ولا حد عاملي عمل ولا أيه بالظبط؟

- ما لازم اضحك .. ياك كنت فاكر نفسك سيدنا سليمان تروح تكلملي النمل.

- ليه بس يا شيخ فتحي، أنا فاكر إني قريت في حته إن في حد من الصحابة كلم النمل قبل كده، وفي منهم اللي كان بيطعم النمل عشان بيسبحوا ربنا.

- خلاص يعني حضرتك مابقتش النبي سليمان، وبقيت واحد من الصحابة!

- ايه دخل اللي أنت بتقوله بموضوعنا بس يا مولانا، أنا بموت بالله عليك يا شيخنا دول بقوا في كل حتة في البيت.

- يا حبيبي أنت اتفقت معاهم ونقضت الاتفاق هو دا كل الموضوع ولا جن ولا يحزنون.

- نقضت الاتفاق!!

- اه يا شيخ سليمان مش أنت قلتلهم إن ليهم الحق ياكلوا أي حاجة تقع في الأرض منك، والفرخة وقعت منك في الأرض وهما كالوها.

- وهوا النمل بيفهم يا شيخ فتحي؟!

- دلوقتي جاي تقول بيفهم! أمال كنت بتكلمه من الأول ليه يا حبيبي؟!

وعاد الشيخ فتحي للضحك، والامتعاض واضح على وجه سليمان من ضحك الشيخ فتحي ومن مصيبته التي لا يجد لها حلًا.

- والحل يا شيخنا؟

- الدية.

- الدية!! دية أيه يا شيخ؟ هوا في دية للنمل؟! ولا كل نملة هعلمها دية زي الناس! دا لو دا بجد دول مايكفهش فراخ الأرض كلها، دا مات منهم كتير أوي.

قال الشيخ فتحي من بين ضحكاته:

- لا لا ربنا يعوض عليهم في اللي مات .. أنت هات فرخة وسيبها على الأرض .. مش هي اللي كانت السبب في نقض الاتفاق وتعالى لي وقولي ايه اللي حصل، ويارب يكون خير!

***

عاد سليمان وفعل مثلما قال له الشيخ فتحي، أتى بفرخة مشوية وبنفس مشتملاها، وضعها على الأرض في وسط الصالة وعاد يقول بالفصحى: لقد نقضت عهدي معكم، فاقبلوا مني هذا الطعام صُلحًا، والله يحب المحسنين.

وخروج إلى عمله، عاد في نفس اليوم ليجد المنزل قد عاد كما كان، لم يعد هناك نملًا، سوى المعتاد، انفرجت أساريره وصارت الضحكة على وجهه عن آخرها. سمع أذان المغرب، فتذكر الشيخ فتحي، ترك ما معه من حاجيات، وهرع للمسجد، وهو ينتظر ان يرى وجه الشيخ فتحي، بعد أن يحكي له ما جري.

دخل المسجد وصلّى وبعض الصلاة قام متجهًا إلى الصف الأول حيث يجلس الشخ فتحي بعد الصلاة، وبينما هو متجه وجد الكل ينظر إليه، وصل إلى الصف الأمامي، ووجد الشيخ فتحي جالسًا، رأه الشيخ فتحي فانفرجت أساريره هو الآخر ورحّبَ به: أهلًا أهلًا .. خير ايه اللي حصل؟

قبل أن يشرع في الحديث، لاحظ أن كل العيون متجهة إليه، فنظر مستفسرًا للشيخ فتحي.

– ما تقلقش يا شيخ سليمان .. الناس بس عايزة تطمن عليك وتعرف أنت عملت ايه في موضوع النمل دا.

– عايزه تطمن!! وهي الناس عرفت منين يا مولانا؟!

ابتسم الشيخ فتحي وهو يغالب ضحكته: بصراحة من النهاردة الصبح وأنا مش قادر امسك نفسي، فكل اللي يسألني مالك يا شيخ فتحي احكيله.

وجد سليمان أحد أصدقائه المرتادين الدائمين للمسجد يربت على كتفه، التفت فوجده يقول له:

– عامل ايه دلوقتي يا شيخ سليمان نملة.

قالها وضحك جميعُ مَن في المسجد وأصبح مِن يومها الشيخ سليمان نملة.

***

ليلة القدر



تفحصته من فوقه لتحته، غريبٌ أن يأتيَ مَن هم على شاكلته ويستطيعون تخطّي جميعَ مَن قبلها ليقف أمامها كما هو واقف الآن. كررت السؤال مرةً أخرى علّها تأخذ منه إجابة أخرى- حضرتك عايز مين بالظبط؟

ابتسم وهو يقول:

– زي ما قلتلك يا مدام، أنا عايز الباشمهندس علي الحلواني.

– الباشمهندس علي الحلواني رئيس مجلس إدارة الشركة؟

اتسعت ابتسامته أكثر:

– أيوة يا مدام هو في غيره!

– واقوله مين؟

– خالد الحلواني ابن عمه، وجاي من البلد في مسألة خطيرة.

تفحصته مرةً أخرى بجلبابه وعمته والضحكة المستفزة التي على وجهه، طوت الصحيفة التي كانت مفتوحة أمامها، وقامت، طرقت الباب ودخلت للمهندس علي الحلواني، وقفت أمامه وهو منهمك في أوراق عديدة أمامه، رفع رأسه، فهي غير معتادة على الوقوف والسكوت في آنٍ واحد، دائمًا يسبق صوتها حركتها.

- في حاجة يا هند؟

- معلش يا باشمهندس بس في واحد بره بيقول إنه قريبك من البلد، هو شكله غريب شوية، خفت امشيه حضرتك تتضايق، بيقول إن الموضوع خطير.

- واحد قريبي! اسمه ايه؟

- خالد الحلواني.

- خليه يدخل.

عادت وفتحت الباب ودعته للدخول، وهو يحيها وعلى وجهه نفس الابتسامة.

- السلام عليكم

- وعليكم السلام .. اتفضل .. اؤمر.

دخل خالد وتطلع للغرفة ورائحتها معبأة برائحة السيجار الموضوع أمامه، وقبل أن يفتح خالد فمه عقّب عليٌّ بسرعة:

- بس بسرعة بالله عليك عشان ورايا اجتماع كمان عشر دقايق وانا مش فاضي فعلًا، وبعدين أنت ابن عمي مين فيهم؟

- ابن عمك محمد.

تطلع علي في سماء الغرفة ليتذكر عمه وهو يقول:

- عمي محمد .. دا أنا ماشفتوش بقالي كتير أوي، أنا تقريبًا بقالي أكتر من عشرين سنة ما رحتش هناك، وهو عامل أيه دلوقتي؟

– الله يرحمه بقى، مات من سبع سنين، أنت ماجتش ساعتها، بس احنا قلنا أكيد مشغوليات أو ممكن تكون مسافر.

– الله يرحمه، اقدر اخدمك بأيه يا أستاذ خالد؟

– ربنا يخليك بس أنت شكلك كده مش فاكرني!

أحسّ عليٌّ بالحرج وقال:

– ما أنا قلتلك بقالي أكتر من عشرين سنة مارحتش، بس فاكر عمي، وفاكر إن كان عنده خالد ومحمود وشعبان ، بس ماحصلتش فرصة إني أشوفكم.

– الله ينور عليك ما أنت فاكرنا اهو.

– ربنا يخليك .. ما قلتليش برضه أنت عايزني في ايه؟

– والله هي حاجة تكسف بس أعمل ايه!

ابتسم عليٌّ في قرارة نفسه، ما دام قال "حاجة تكسف" فالموضوع فيه تعيين ابنه أو طلب فلوس، وأُذُنه مستعدة لسماع طلبه حتى يعاجله بعريضة عن الاعتماد على النفس وأنه لا توجد تعيينات بالواسطة وكله هنا بالكفاءة، ولن يهنيه على طلبه.

– ولا حاجة تكسف ولا حاجة .. قول بس.

– لا والله هي حاجة تكسف، أصل ما ينفعش الواحد يخدم وبعدين يطلب نظير لخدمته دي.

– أنا والله ما فاهم حاجة! خلصني بالله عليك يا أستاذ خالد ورايا شغل كتير.

- أنا السبب في إن المناقصة اللي فاتت ترسى على الشركة بتاعتك، وكنت عايزك تخدمني زي ما خدمتك.

- نعم!! أنت يتقول أيه بالظبط؟

- زي ما بقولك كده و. . . أنا السبب في المناقصة اللي رسيت على شركتك وأنقذها.

ارتفع ضغط عليّ وكاد يطلب الأمن إلا أن خالدًا عاجله:

- اسمعني واحكم يا بيه، وأنت اللي هتقول بنفسك.

- قول وانجز.

- الموضوع وما فيه إن أنا قبل ليلة القدر بيوم قريت في الجرايد مقال عن أوضاع شركات المقاولات والحالة الضنك اللي هي عايشاها من بعد الثورة، وكان من بين الشركات اللي جابوا أساميها شركة معاليك، أنا كل اللي عملته إن ليلة سبعة وعشرين من رمضان واحنا بنصلي في ليلة القدر، والسما مفتوحة افتكرتك وأنا ساجد ودعيتلك إن أول مناقصة تقدِّم عليها تتقبل فيها وتنقذ الشركة، وحصل يا بيه، أنا قريت بعديها بشهر إن شركتك اتقبلت إنها تعمل مناقصة كبيرة لوزارة من الوزارات.

قاطعه عليّ قبل أن يُكمل:

- لا والله! دعتلي في ليلة القدر، دا أيه الأشكال اللي بتتحدف عليّا دي يارب دا أنا هدخلك السجن واعملك قضية، عشان تبطل نصب، وابقى وريني دعواتك هتخرجك ازاي؟

تجهّمَ خالد، وقال وقد بدا صوته في الارتفاع:

– هسألك سؤال.. المناقصة دي أنت قدمت عليها امتى؟

صمت عليٌّ للحظات وتذكر في نفسه أنه قدّم عليها بعد شهر رمضان مباشرة، ولكنه لم يُجبْ خالد الذي سأل مرةً أخرى، وبنفس النبرة الحادة:

– وحضرتك كنت متوقع إنك تتقبل فيها في ظل الوضع اللي كانت شركة معاليك فيه؟

لم يجبه عليٌّ أيضًا، ولكن في قرارة نفسه كان يعلم يقينًا أن هذه المناقصة جاءت له وكأنها معجزة.

استطرد خالد وبصوتٍ عميقٍ وعينين متسعتين وهو يشير بإصبعه للأعلى:

– يا بيه أنت اتقبلت عشان ربنا .. ربنا قَبل دعوتي اللي يا رتني ما كنت دعتهالك.

تسلّلَ الشكُّ داخل عليّ وظلّ صامتًا، أشعل السيجار والتقط منه بضعةَ أنفاس وأكمل بلهجةِ الناصح:

– طب ما دام أنت جامد أوي كده يا خالد بيه ما دعتش بأي حاجة تانية في ليلة القدر ليه؟! ولا ما افتركتش غيري يا راجل يا مؤمن؟!

– لأ .. ازاي يا بيه دعيت طبعًا، دعيت لأمي بالصحة، والحمد لله العملية اللي راحت تعملها في قلبها نجحت، دعيت لبنتي تتجوز

ويجيلها ابن الحلال وجالها، ودا يا باشمهندس هو السبب اللي جابني ليك.

– مش فاهم!

– فعلًا جالها ابن الحلال بعد العيد على طول وهو باشمهندس برضه بس شغال في السعودية، وعنده شقة هنا في بلدنا، بس هو مستعجل، وهيسافر في خلال شهر فعايز يخلص كل حاجة في الشهر دا وياخدها ويسافروا، دعيتلها وما كنتش اتعرف إن دعوتي دي هتزنقني كده. البنت لازم أجهزها في الشهر دا وإلا البلد تاكل وشي ويتقال إن خالد بن محمد الحلوني معرفش يجهز بنته، وبنته اتاخدت بهدومها، دي تبقى عيبه في حقنا ويتقال على بنتي إن مالهاش تمن يا باشمهندس، عملية أمي خلّصت على اللي ورايا واللي قدامي.

عليٌّ لا يزال يقلّب الأمر في رأسه ويسترجع ذكريات المناقصة الأخيرة، وذكريات البلد وعمه محمد، وتوقف هنا:

– وايه اللي يعرفني إنك ابن عمي محمد بصحيح؟

قالها عليٌّ وكأنه يبحث عن أيِّ طوق نجاة ليفلت به من مطالب خالد.

أخرج خالد بطاقته وكأنه كان في انتظار هذا السؤال، قدّمها لعليٍّ وهو يقول بابتسامته العريضة التي عادت إليه:

– اتفضل يا باشمهندس .. البطاقة ما بتكدبش.

أخذها عليٌّ ورأى فيها اسم خالد محمد الحلواني وعنوانه. إنه فعلًا من البلد ذاها، أومأ لنفسه وهو يفكر، في حينِ عقَّبَ خالد:

– بس الوش غريب عليك عشان أنت ما جتش خالص.

تنهد خالد وقام وهو يتلقط البطاقة من يد عليّ وهو يقول بلهجة يشوبها الحزن والمرارة:

– على العموم يا بيه أنا مش جاي اشحت، ربنا ما بيسبش حد، سلام عليكم.

قالها واتجه صَوْبَ الباب، هنا عاجله عليٌّ:

– استنى لحظة.

توقّف خالد، وعليّ يعتصره الأمر من الداخل، وقرّر بداخله لو كان فعلًا قد دعا له فهو يستحق الفلوس، وإن لم يكن قد دعا فليعتبرها صدقة. أخرج من درج مكتبه عشرين ألف جنيه ووضعهم أمامه.

– عشرين ألف كفاية؟

انفرجت أسارير خالد:

– دول ميت فل وعشرة يا باشمهندس، ربنا يكتر من أمثالك وكله يعود لأولادك ربنا يخليك.

اتجه خالد صوب الفلوس وبمجرد أن وضع يده عليها، انفتح الباب من خلفه بعنفٍ وهند تصرخ مصدرة الأمر لرجال الأمن الذين أتوا معها:

– امسكوا النصاب دا.

التقط خالد الفلوس وحاول الجري، ولكن الأذرع المكتنزة بالعضلات كانت في انتظاره لتكبيله لحين قدوم الشرطة.

***

كرّرها للمرة العاشرة تقر ًا:

– يعني دا نصّاب؟!

ضحك الظابط الواقف أمامه:

– دا عادل أبو حتة من أكبر النصابين، تخصص نصب على اللي زي حضرتك كده من الناس النضيفة. ما تتضايقش يا باشمهندس اللي اتنصب عليهم زيك كتير، دا أقنع واحد من شهرين مليونير كبير إنه يبقى ابنه! بس في كل مرة بيفلت، الحمد لله إن الأستاذة هند أخدت بالها من صورته اللي كانت في الجورنال النهاردة وبلغتنا على طول.

التفت عليٌّ لسكرتيرته هند، وهو يقول وما زالت الصدمة عليه:

– وسبتيه يقعد معايا كل دا يا هند لحد ما ينصب عليَّ؟!

ارتبكت هند وقبل أن تبرر ما فعلت تدخل الضابط وقال:

– احنا اللي قلناها على فكرة، هي ما اتصرفتش من دماغها.

انصرف الجميع والمهندس علي الحلواني لا يفارق مخيلته النصاب وهو يضع يده على أمواله التي أخرجها له بنفسه بدعوى أنه دعا له في ليلة القدر.

***

عقارب الساعة هنا .. لا تدور!!

لا يدري ما الذي يفعله؟! أيهوي برأسها على أقرب حائط؟! لم يصفعها بما يكفي تشويه وجهها. تخيلات قاسية جدًّا كانت تتوارد إلى خاطره وهو يرى زوجته تخرج من البناية التي تعمل بها وبرفقتها أحد زملاء عملها. تضحك وتبتسم وتسير معه، وَصَلَا إلى المنعطف حيث ظلّ الشاب واقفًا معها، يكاد بعينيه يحسب السنتيمترات التي بينهما، لم يتجه نحوها كما كان يخطط أن يفاجأها، ظلّ واقفًا يراقبها في صمت، يريد أن يرى إلى ماذا سينتهي الأمر، أشار الشاب إلى إحدى سيارات الأجرة، توقفت وركبتها زوجته وأشارت بيدها مودعةً زميلها وبادلها هو بالمثل، وعندما تأكد من ذهابها، ذهب هو في طريقه.

***

فتح الأستاذ عصام الباب على صوت الصياح والشجار القادم من شقة جاره المهندس إكرامي، إنه هكذا دائمًا يصرخ في زوجته، بل ويضربها أحيانًا، لَكَمْ سأل نفسه لماذا ترضى وهي العصفور الجميل بذلك الهمجي المتخلف خاصة وأنهما لم يُنْجبَا بعد، اقترب من بابهما ليتأكد أن الأمر في طور الصياح والصراخ فقط، إنه لم يعد يتدخل إلا في حالة أن يصل الأمر إلى الشجار والضرب، أما في حالة الصياح فقد ملّ من كثرة تدخله في هذا الشكل من أشكال الشجار.

– أنا شايفك يا أماني ماشية معاه .. أنا شايفك بنفسي يا زبالة.

– ما تشتمنيش بقولك.

– ما اشتمكيش يا سافلة يا حقيرة.

– الله يسامحك يا أخي .. حسبي الله ونعم الوكيل فيك! دايمًا ظالمني.

– ظالمك يا فاجرة؟!

– والله العظيم أنا أُحرجت منه وماكنتش عارفة استأذن منه ازاي.

– تقومي تتمشي معاه!!

– حرام عليك دا أنا طول عمري بركب الترام، المرة دي ركبت التاكسي مخصوص عشان ما يمشيش معايا.

– كدابة كدابة .. أنا هطلّع عين اللي جابوكي.

– يا أخي اتقي الله شوية.

– اتقي الله! اتقي الله أنتِ في جوزك والقرف اللي أنت بتعمليه دا.

واتجه نحوها والشرر يتطاير من عينيه، رأته والفزع دبّ في أوصالها، لَكَمْ تكره يديه، حتى لم تعد تطيقها وإن كانت تربت عليها، إنها لا تتذكر أصابعه إلا وهي تنزل كأسياط النار على خدها، وقبل أن يأتي نحوها دارت من حول السفرة واتجهت صوب الباب، فتحته

فوجدت الأستاذ عصام في وجهها، رأى إكرامى الأستاذ عصام واقفًا على الباب، عندها لم يفكر إلا في أن فضيحته ستنتشر في العمارة حالًا، وسيقال إن زوجة المهندس إكرامي تسير مع زملائها في العمل. اندفع الدم بقوة في عروقه فاندفع نحوها يجري، وفي ظلِّ تشنجاته العصبية اختلَّ نوازنه وهوى بجسده للوراء ليهوي بكامل جسده على المنضدة الزجاجية التي تتوسط المساحة التي أمام الباب.

***

– الحمد لله هو فاق دلوقتي .. بس لسه هو ما يعرفش أي حاجة، ومش عايزين نقوله على أي حاجة دلوقتي تشان حالة النفسية متأسرش عليه.

قالها الدكتور لوالد إكرامي، وأمه جالسة على أحد الكراسي تهز رأسها يمنةً ويسارًا بلا توقف، وتمهمم بعبارات الأسى التي تقطع القلوب. أما أماني فكانت جالسة على الأرض دافنة وجهها في راحة يديها وتبكي، فقط الأستاذ عصام يقلب كفيه بجانب والد إكرامي وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله .. لا حول ولا قوة الا بالله.

دخل عليه والده أولًا، كان إكرامي يدور بعنيه الزائغتين في أرجاء الغرفة.

– بابا.

– ازيك .. عامل ايه دلوقتي؟

– الحمد لله .. الحمد لله .. بس حاسس إني تعبان أوي.

– الحمد لله أنت عديت مرحلة الخطر.

– هو إيه اللي حصل؟

ظلّ الأب صامتًا بلا جواب، ولكن إكرامي بدأ في التذكر، وبالرغم من رُقاده عادت عيناه تشتعلان غضبًا.

– هي الكلبة دي موجودة هنا! ناديهالي يا بابا عشان اهزئها.

قالها وصوت صياحه واصل إلى خارج الغرفة.

– يا ابني حرام عليك .. دي جريت بيك هي وأستاذ عصام على طول على المستشفى .. دي لو كانت اتأخرت شوية صغيرين كنت هتروح مننا، استهدى بالله.

– يعني كنت عايزها يا بابا بعد اللي عملته فيّا، كمان تسيبني وترميني .. استهدى بالله بعد اللي عملته فيّا .. دا هي السبب في اللي أنا فيه دا دلوقتي.

– هي السبب في ايه بس يا إكرامي .. أستاذ عصام كان موجود وحكالنا على كل حاجة.

بدأ تنفسه في التسارع ولمحها واقفةً على باب الغرفة ودموعها تغرق وجهها، مدّ رأسه وحاول أن يعتدل فلم يستطع.

– وسع لي يا بابا خليني اشوفها .. هو أنا مش عارف اتحرك ليه.

حاول أن يسند نفسه بذراعيه، ولكن نصفه الأسفل لم يتحرك، اتسعت عيناه:

– هو أنا مش عارف اتحرك ليه يا بابا؟! هو أنا لسه في البنج ولا أيه؟! هو مفيش حد بيرد عليّا ليه؟!

لم يتمالك أبوه نفسه وأشاح وجهه وبدأ في النحيب الصامت.

– أنا اتشليت صح؟! أنا اتشليت!

بدأ وجه إكرامي نفسه في الامتعاض وحشرجة البكاء واضحة في صوت تنفسه العالي، نظر إليها في عينيها وصرخ بها:

– أنتِ اللي شلتيني يا أماني .. أنتِ اللي عملتي فيّا كده.

استدارت وشرعت في الجري بعيدًا عن غرفته. وصدى صراخه لا يزال يطاردها.

***

ظلّ مستيقظًا طوال الليل، يقتله التفكير، أمه جالسة على كرسي بجانب سريره ونائمة من الإنهاك والتعب طوال اليوم، الكثير يدور برأسه، يضغط بأضراسه، يريد أن يقوم أن يفتك بأماني وبالذي كان يسير معها وبالأستاذ عصام، هؤلاء الكلاب يجب أن يقطعهم إرْبًا، وفي النهاية كان يشعر بعجزه وأنه سيصبح من مساجين كراسي العجلات. يريد البكاء .. الصراخ .. الجري .. الهرب .. العودة بالزمن .. كل هذه المشاعر كانت تختلط بداخله، كان يريد أن ينفث عن غضبه في أي شيء، سيطلقها .. يجب أن يطلقها .. ويتركها كالكلبة .. ارتاح لهذا الفكرة، ولكنه عاد يفكر .. أيتركها لتذهب وتستمع بحياتها وتتركه هكذا؟! إنها يجب أن تُكفِّر عن غلطتها، يجب

أن تصبح عبدةً تحت قدميه التي لا يستطيع أن يخطو بها مرة أخرى بسببها.

يطلقها!! إنه لن يطلقها بكل تأكيد.

***

بعد ثلاثين عامًا

دخلت من الباب، وضعت الحاجيات التي بيدها على المنضدة، وجاء هو بكرسيه المتحرك:

– ما لسه بدري!

– الطريق كان زحمة.

– ممم.

– قبضتي ولا لسه؟

– اه قبضنا النهاردة .. خد المرتب أهو.

التقط الظرف منها وفتحه وعدّ ما فيه.

– ايه دا مش المفروض إنك هتزيدي الشهر دا؟

– آه ما أنا زدت فعلًا .. أنت مش واخد بالك إن المرتب زاد؟!

– لا يا ماما دي مش الزيادة اللي قالوا عنها في الجرايد .. قالوا الحكومة كلها هتزيد وزيادات حلوة مش اللي أنتِ جاياه ده.

- أهو دا اللي والله العظيم قبضته النهاردة.

نظر للأسفل بوجهه وهي لا تزال واقفة أمامه:

- براحتك .. عذبي فيَّا براحتك بتستخسري فيّا .. طب يا ستي أنا معايش تأمين يصرف عليَّا .. أبويا كان فاتحلي مشروع وفشل من ساعة ما أنا ما اتشليت.

رفعت أماني رأسها تنظر للسقف: "يا ربي هو أنا لازم كل يوم اسمع الحكاية دي"

استطرد هو: هوا أنا باخد مرتبك بروح اتفسح بيه، كل اللي بعمله إني بسند بيه شوية يا ستي بدل المصاريف الكتير وخصوصًا مصاريف العلاج .. يا ستي أنا لو عليَّا خدي رجليا أنتِ وسيبيني انزل اشتغل وكل يوم هاجي اديكي كل مليم هيخش جيبي.

- أنت بتقول كده ليه بس؟!

وكادت أن تقول له عن الأموال الطائلة التي تركها له أبوه، ولكنه لا ينفك ينظر إلى مرتبها هي، ولكنها لا تستطيع أن تفتح فمها معه وتقول له هذا الكلام للأسف! حتى صارت كالشحاذين تلبس الملابس القديمة والأحذية المهترئة، فهو لا يسقط منه إلا أقل القليل ولا تستطيع هي أن تدّخر من مرتبها شيئًا فهو كالصقر في حسابه للنقود.

عندما بدأت عيناها في الاحمرار نذيرًا للبكاء، التفت هو ساخطًا وهو يقول:

- يا رب ارحمني يا رب، يا رب اشفيني، أنت العالم بحالي.

***

استيقظت ليلًا على صوت حركة خارج غرفة النوم، قامت واتجهت صوب الحمام، وقفت بلا حراك، تنظر إليه، كان يحاول أن يرتدي ملابسه بعدما قضى حاجته، وقد احتقن وجهه وهو يحاول أن ينحني ليأتي بطرف سرواله الذي سقط منه، وصار يلهث من كثرة المحاولة، كلما كانت تراه يتعذب ويعاني كانت تنسى كل ما يفعله بها، وتشعر بالذنب وأنها لم توفيه حقه إلى الآن.

يقول الجميع "هبلة" في عواطفها، إنها لا تعلم هل هي على صواب أم لا، إنها فقط تتحرك بما يخبرها قلبها.

***

كانت مستقلة الميكروباص المتهالك ومحشورة في أريكة مع ثلاثة أفراد إحداهم امرأة يجلس فوق حجر ابنها "الشحط" حتى تتجنب أن تدفع له أجرة، كل هذا في أريكة لا تتسع سوى لثلاثة!

هتفت أماني بعلو صوتها كي يسمع السائق الذي يصطنع الصمم كعادة السائقين:

– الناصية الجاية معاك يا أسطى.

ولكن هذا السائق بادرها الرد فورًا:

– حاضر يا مدام.

وقف السائق وشرعت هي في التحرك بسرعة، فهولاء السائقين لا يصبرون أبدًا على المرأة حتى تنزل، بل ويبدؤون بالتحرك بمجرد أن تخطو بقدمها على الأرض، اتجهت صَوْبَ الباب وهي تقول له:

- لحظة يا أسطى.

- أنا مش هتحرك ما تخفيش .. على أقل من مهلك.

وانسابت الكلمة كالنسيم داخلها، وظلّ عبقها داخلها "على أقل من مهلك"، وهي تفكر "عمر ما حد قالها لي".

دخلت الشقة، وهي لا تزال تفكر ونفسها تهفو من هذه الكلمة وعلى وجهها ابتسامة صغيرة، كان هو في انتظارها كالعادة.

- مالك؟ شكلك مبسوطة يعني.

لم تجبه بعبارات التفسير والتبرير كالعادة، بل ظلت صامتة.

- ايه كنت خارجة ولا أيه؟

لم تجبه كذلك، كانت تحاول أن تحافظ على الرمق الأخير من الإحساس الجيد الذي يخالجها.

- اه .. ما هو دا اللي أنا كنت بقوله من زمان .. شكلك كده شايفالك شوفه .. طبعًا بدل جوزك العاجز، فاكراني مش شايفك ومش واخد بالي من حركاتك، دا أنا واخد بالي من حركاتك من أيام أستاذ عصام.

- الله يرحمه يا إكرامي .. الراجل مات.

- الراجل مات بس فيه غيره صح؟ أيه كنتِ مع الراجل اللي كنتي نازله معاه من الشغل اليوم إياه، اه طبعًا .. مش قادرة سعادتك

تستحملي .. رحتي تدوري على راجل تنامي معاه وتعيشي حياتك بدل جوزك اللي نايم طول الليل جنبك بيتأوه يا فاجرة.

هنا لم تحتمل..

– يا قليل الأدب يا سا، وهو أنا لو كنت عايزة رجالة كنت قعدت في وشك كل دا!! لا شفت منك مليم، ولا عيل اتلهي فيه ولا يوم عدل واحد افتكره! كل دا وبقول عشان اكفر عن اللي أنا عملته فيك، مع إني معملتش حاجة! أنت اللي عملت في نفسك كل دا، بس أنا اللي غلطت ومصدقتش اللي حواليا لما قالوا عليَّا هبلة، بس الهبلة دي عقلت وفهمت إنك أنت اللي كلب وما تستهلش حتى معاملة الكلب.

اتسعت عيناه وانعقد لسانه وقبل أن يجد ما يرد به عليها وجدها تتجه إلى الباب، فتحته. اندفع هو بالكرسي، لم يستطع اللحاق بها وهوى أرضًا. شاهدها وهي تخرج من الباب، شاهد قدميها وهما تسيران بعيدًا عنها، صرخ بها:

"هتسيبيني بعد اللي عملتيه فيا؟! هتسبيني بعد ما شلتيني!"

ولكنها لم تجب عليه هذه المرة.

***

سمو

.إنه الأمد، نعم ما يراه الآن هو الأمد، ممتدٌ بلا نهاية، يشعر بانغماسٍ ذاتيٍ في هذا الكيان العظيم، يدور ببدلته الفضائية حول نفسه ليرَ ما خلّفه، النجوم في كل مكان. على الأرض لم يكن كل هذا الضوء وكل هذه النجوم، وهذا الغبار الكوني ذو الألوان الخلابة، تشعر وكأنه موج وسط بحر الفضاء الأسود. عندما كان صغيرًا كان دائمًا ينظر إلى الفضاء ويبدأ في عدِّ النجوم، وكان يمد يده وكأنه يرغب في لمس إحداها. كان يستطيع عدَّ النجوم من نافذة بيته، لم يكن يعلم حينها أن الضوء الصاخب الذي أصبح يملأ حياة المدن يُخفي كثيرًا من بريق الفضاء، ولن ينسى أبدًا عندما كان مع والداه مسافرَينِ إلى الإسكندرية، وأخبر والده برغبته في دخول الحمام. توقف حينها والده على جانب الطريق وترجّل معه في الخلاء، كان الظلام قاتمًا لا ترى على بُعد أمتار منك، كانت مثانته قد شارفت على الانفجار، وبينما يفرغها من مائها رفع رأسه متنهدًا بحرارة، ساعتها نسى كل شيء؛ وجد النجوم هذه المرة لا تُعد ولا تحصى وذات ألوان خلابة، إنها ليست كما يراها من نافذة بيتهم، أين كانت كل هذه النجوم؟! ومِن يومها وهو مأسور بالنجوم، خطفت نظره وقلبه.

أما الآن فهو أقرب بكثير لهذه النجوم، والظلام الذي حوله أفضل من الظلام الذي على طريق مصر إسكندرية الصحراوي، ويجعله يراها بصورة أفضل بكثير، بل ويشعر بما يأتي منها في أحيان كثيرة.

الغرفة كانت شبه مظلد ، فالستائر مسدلة، والجميع واقفون صامتون حول فراشه يتطلعون إليه، وحديث عيونهم وحركة أيديهم تُنبئ عن مشاعر صاخبة على عكس السكون السائد، كان الجد حوله أبناؤه وأحفاده، كان كل ما يفعله الجد هو أنه يتطلع بعينيه صَوْبَ هذا الشعاع الذهبي المنهمر من ضوء شمس الظهيرة، وخلال خيط الضوء الرفيع المنسدل بجانب الجد، كانت حبات الغبار الدقيقة تتواثب وتدور حول بعضها البعض وكأنها عالمٌ بذاته، والجد غير ملتفت إلى أيٍّ من الواقفين حوله، فقط حبات الغبار هي ما تثير فضوله، مدّ يده صوب إحداها وكانت لَوْلَبِيّة، حاول الاقتراب بإصبعه منها فهربت ولم يعد يراها، ولكنّ عينيه تعلقتا بواحدة أخرى، ابتسامة صغيرة للغاية كانت كالشبح على ملامحه.

***

في أقصى جانب في الغرفة كانت الابنة الكبرى تقف بجانب الدكتور يتحدثان

– وهو ايه اللي بيحصله دلوقتي يا دكتور؟

ابتسم الدكتور وهو يطأطئ رأسه قليلًا:

- الله أعلم .. الموضوع دلوقتي بينه وبين ربنا .. هو كده خلاص للأسف.

عادت تنظر إلى أبيها، تراه وهو يطرق باب الموت، الكل متطلع إليه، وكلٌّ منهم يتخيل ما الذي يراه الجد الآن، وما الذي يفعله. وبينما هي تنظر إليه ودموعها تنهمر في صمت، وضع الجد يده بجانبه، وأغلق عينيه في هدوء، ولم يعد ذا صلةٍ بعالمنا.



همس الرياح



إهداء لكِ يا غادة

***

شتاء 2004

جالسان بجوار بعضهما بعدما ذهب الجميع، فقط من دقائق كان الصخب عن آخره، ليس صخب الأصوات والضوضاء، بل صخب النظرات.. الهمهمات.. الهمسات. كانت مشاعر الإشفاق موجودة بحق وليست مشاعر كاذبة، ولكنها انتهت بخروج الجميع ورجوع كلٍّ من الموجودين إلى حياته.

كان عزاء الدكتور سعيد عبد النبيّ وزوجته، حادث سيارة فاجع، أهدر روحيهما، وتركا خلفهما أحمد وغادة الجالسَيِن والسواد يقطر من وجهيهما. دموعها تنهمر حتى تنهك منابعها لتعود بعد لحظات إلى الانهمار مرةً أخرى في صمت. هو لم يعقب على بكائها، صامت.. حانق.. غاضب من أيِّ شيء ومن كل شيء.

– شفتي القرايب عاملين ازاي؟

نظرت له مستفهمةً، وأكمل هو:

– الناس جاية تسلّم وتمشي وفي اللي ما جاش أساسًا ولا حتى أتكلم في التليفون، عشان لما كنت أقولكم من زمان أنا ليه ما بعبرش حد فيهم كنتوا بتعيبوا عليًا، دا ولا اكن اللي ماتوا كانوا يقربلهم.

– احنا ما لناش دعوة . . يا أحمد .. خلينا في اللي احنا فيه دلوقتي.

– اللي احنا فيه!! وهو ايه اللي احنا فيه غير الهم!

اقتربت منه حتى صارت جواره تمامًا

– بالله عليك تاخد بالك من مذاكرتك أنت في آخر سنة في الكلية، وكمان الناشر عايز منك القصة تخلصها في شهر وتبعتهالوا، مش هوا دا الحلم اللي كان نفسك تحققه، يعني لما يجي ناشر ويقبل ينشر لك روايتك، تيجي أنت في الآخر وتضيع الموضوع من ايدك، تفتكر أنت كده بترضي بابا وماما؟ عشان خاطري خد بالك من نفسك.

قالتها والحنان مغموس في حروف كلماتها؛ فرقّ قلبه ما جعله يأتي برأسها ويضمها في صدره ويربت على ظهرها وهو يقول حاضر.

***

قلما يأتي إلى الكلية، جاء فقط ليسأل عن المحاضرات وعن بعض الكتب الدراسية. دائمًا يأتي وحيدًا فهو بلا أصدقاء، لقد جاءوا من الكويت من سنة فقط، ما لم يتح له أن يكوّن صداقات داخل كلية اقتصاد وعلوم سياسية. كانت تقف والكتب التي تحملها تُنبئ عن

شابة تأكل الكتب أكلًا، وتدرك كل ما له علاقة بالدراسة، اتجه صوبها ووقف خلفها:

– لو سمحت.

التفتت هي لترى مَن الذي يتحدث إليها، واستمر الحديث بينهما لعدة دقائق لم يتذكر منه أحمد أي شيء إطلاقًا، كل ما كان يريده هو أن يستمر الحديث أكثر وأكثر، وعاد إلى بيته وهو لا يزال يفكر بها.

***

دخل على أخته، فوجدها تُكمل رسم لوحة بدأتها منذ فترة، سلّم عليها واتجه إلى غرفته سريعًا، قالت غادة في نفسها: "لعله لا يزال غاضبًا"، ثم هزّت كتفيها وعادت تكمل رسم لوحتها.

مستلقيًا هو على السرير بملابسه، يفكر في الذى حدث اليوم، ثم يعود ويسأل نفسه وما الذى حدث اليوم أصلًا، إنه مجرد حديث بين اثنين، شعور جارف يعتريه، الشعور يقتله فضول، ما هذا الذي يعتمل في صدره، وكأن هناك شيئًا جديدًا أضيف إلى ما بين دفتي صدره، يعطي للهواء مذاقًا جديدًا، ثم عاد يفكر بطريقته التحليلية التي يمارسها مرارًا عندما يدرس الشخصيات التي يكتب عنها.

"هو أنا اللي بحس بيه ده؟"

"أنا حاسس زي ما أكون منجذب ليها أوي .. ليه؟"

"بس ف الأزمات الواحد بيكون خفيف، وبيكون عاطفي زيادة عن اللزوم وبيعمل حاجات غريبة"

"أنا أكيد اللي أنا فيه دا بسبب اللي حصل لبابا وماما، أكيد الحوار دا هو اللي أثّر عليًّا كده"

"أنا غلطان إن أنا نزلت أساسًا، أنا كنت المفروض ابعد شوية عن الناس لحد ما اهدى"

"أنا مش هنزل تاني الفترة اللي جاية خالص"

"تزعل غادة .. بس عايز اقعد لوحدي اليومين دول"

***

في اليوم التالي مباشرة وفي الصباح الباكر كان يقف على باب الكلية، ينتظرها كالمحموم، يتخيل شكلها وهي قادمة في العديد من الأشكال وينغمس في تُخيلاته. ظهرت والحمد لله، لقد أصابه الصداع من كثرة التفكير، لمحته هي بعينيها، ولكنها أكملت طريقها وكأنها لا تراه. اقترب منها، وبدأ حديثه يسألها عن بعض الأشياء التي أخبرته بها البارحة، أجابته بلطفٍ زاده شوقًا، فهو يعلم جيدًا أنها تعلم أنه كان في انتظارها، جاوبته علی كل أسئلته، كان يظهر عليها أنها متأخرة سألها عن السبب فأجابته بأن عليه لحاق المحاضرة، سألها الحضور معها فأجابته بلهجةٍ جافة إلى حدٍّ ما، بأن من حقه الحضور مثلَ أي طالب آخر وليس علٍيه أنٍ يسألها، فهي لا تملك حكمًا عليه. أصابته إجابتها الجافة قليلًا، فدخل المحاضرة واتجه إلى مكانٍ بعيد عنها، لم يكن معه ورقة أو قلم أو أي شيء، ظلّ جالسًا قرابةً الساعتين، والضجر يملأ ملامحه عن آخرها. كانت تنظر إليه كل عدة لحظات، أشفقت عليه، وبعد المحاضرة اتجهت صوبه:

- فهمت المحاضرة؟

حاول أن يجيبها بلهجةٍ جامدة إلى حدٍّ ما، ولكنه لم يستطع في الحقيقة.

- اه الحمد لله .. الدكتور شرحه حلو جدًّا.

قالها وهما يسيرانِ وأطراف الحديث بدأت في التفتح أمامهما، وليبدأ الأمر بأنها عرفت أنه أحمد وعرف هو أنها سلمى.

***

تنظر إلى اللوحة بصمت شديد، وكأنها مترعجة من صوت أنفاسها ذاته، تحاول أن تتحدث إلى الألوان التي باللوحة، تحاول الانغماس بها، ولكنها لم تستطع للأسف، كانت تشعر بغاية الأسف على نفسها فهي لا تستطيع فكَّ رسالة اللوحة التي بدأتها، وكأنها ليستِ هي التي بدأتها، إنها لم تعد تستطيع معرفة ذاتها.

انطلق رنين الهاتف، انتفضت بقوةٍ فقد كانت منغمسة عن آخرها في اللوحة، اتجهت صوب الهاتف:

- الو

- الو

- مين معايا؟

- مش دا منزل العميد طارق الشوربجي.

- لأ النمرة غلط حضرتك.

الصوت على الجانب الآخر.. صامت، لم يُجبْها.

- الو.

- ايوة يا افندم مع حضرتك.

- بقول لحضرتك النمرة غلط.

- أنا آسف فعلًا على الإزعاج .. شكرًا.

- لأ .. العفو.

وأغلقت الهاتف

عادت إلى كرسيها الماثل أمام اللوحة، وقبل أن تستقر عليه، عاد الهاتف يرن مرةً أخرى، اتجهت صَوْبَهُ وصبرها بدأ ينفد.

- الو.

لا مجيب

- الو

ستغلق الآن، ولكن ..

- أنا آسف فعلًا إن أنا اتصلت تاني .. وقبل ما حضرتك ما تقولي أي حاجة أنا والله العظيم مش بعاكس، أنا طلبت النمرة غلط بس حضرتك لما رديتي عليَّا حسيت كده زي ما أكون اعرف حضرتك، أنا معرفكيش بس صوت حضرتك في أُلفة غريبة جدًّا.

وجدت نفسها تطيل في الاستماع إليه، فعقدت حاجبيها وتقمصت شخصية البنت القوية، وقالت:

– بعد إذنك يا أستاذ .. بعد إذنك ما تتصلسش هنا تاني .. عيب كده اللي حضرتك بتعمله دا.

وكأنما لم يسمعها، قال:

– صوت حضرتك حزين جدًّا.. هو حضرتك متضايقة من حاجة؟

أغلقت الهاتف بقوة وهي تحدق في الخلاء، ألهذه الدرجة يظهر عليها الحزن؟! ألهذه الدرجة شعر بها؟! شعرت بيديها ترتجفان عادت إلى اللوحة، ولكنها ما زالت لا ترى تفاصيل اللوحة ليس لصعوبتها، بل لأنها كانت ترى التليفون هو الشاخص أمامها على اللوحة فقط.

***

أصبح التليفون هو حياة غادة، في اليوم الواحد تتلقى من الرجل الغامض ستة أو سبعة اتصالات، يظل يكلمها بكل أدب وهي لا تكمل الثانيتين وتغلق الهاتف في وجهه، ولكنها لسبب ما أصبحت تنتظر الرنين الذي يصنعه اتصاله، لا تعلم عنه أيَّ شيءٍ فهي لا تترك له فرصة، تغلق الهاتف سريعًا بعدما تؤنِّبه بكلمتين، ولكنه لا ينفك يتصل مرارًا وتَكرارًا، حتى جاء اليوم الذي كان فيه أحمد في انتظار اتصال من أحدٍ هو الآخر، وكان جالسًا بجانبه، رنّ الهاتف وتصنّعت غادة أنها لا تنظر إلى الهاتف وأنها مندمجة مع التليفزيون. أجاب أحمد على الهاتف، ولكن المتصل لم يرد وأغلق الهاتف في وجهه، استغرب أحمد ولكنه عاد كما كان، وبعد نصف ساعة تقريبًا حدث نفس الشيء بالضبط، أغلق أحمد الهاتف والتفت صَوْبَ غادة وهو يقول:

– غادة ..

– نعم؟

– بوصيلي يا غادة وكلميني.

– في أيه يا أحمد أنا متابعة البرنامج، أيوة يا أحمد.

– أنتِ مستنية مكالمة من حد؟

– حد زي مين يعني؟

– مش عارف .. أصل في حد كل ما يسمع صوتي يقفل السكة في وشي.

صمتت غادة واصطنعت الغضب.

– أحمد خد بالك من كلامك .. أنا لا حد بيكلمني، ولا بكلم حد ولو في حاجة مش هتكسف أقول على طول. وبعدين حاجة أيه يا شيخ، دا أنت دماغك باظت من الكتابة، بقى الواحد ممكن يحس بحاجة وأبوه وأمه لسه ميتين مكملوش شهرين!

أحسّ أحمد بتأنيب الضمير من حديثها، وشعر بالإحراج بداخله فقد شعر أنها تصف حالته تمامًا، فعاد يقول حافظًا ماءَ وجهه:

– اسكتي خالص هو أنتِ فاهمة حاجة .. خليكي في لوحتك اللي مش راضية تخلص دي.

عاد هو للجلوس كما كان وعادت هي تشاهد التلفاز.

ذهب أحمد باكرًا للكلية، وأصبح بقدرة قادر منكبًّا على الدراسة، ويذهب إلى جامعته كل يوم. استغربت غادة في أول الأمر، ثم تقبلته بدعوى أن ما مروا به يمكنه أن يُغيِّر الكثير، وقد يكون شعورًا بالمسئولية -خاصةً وأن أحمد يشعر بأنه مسئول عنها- هو ما حركه وجعله يهتم بدراسته بهذا الشكل.

رنّ الهاتف، وكانت هي في انتظار هذا الرنين بقوة، رفعت السماعة بسرعة وقالت:

- الو.

- الو .. شكرًا ليكي بجد إنك رديتي عليًّا النهاردة.

- بجد حرام عليك .. بعد إذنك أنت بتعملي كده مشاكل. أرجوك بطل تكلمني.

وجدت الصمت يؤوبها وكأن مَن على الجانب الآخر يُفكِّر في كلامها، ثم سمعته يقول:

- حاضر أنا فعلًا زودتها معاكي، هبطل أكلمك، بس طلب أخير اسمعيني بس المكالمة دي.. أنتِ مش هتقولي أي حاجة، أنا بس اللي هتكلم وهتكون آخر مرة أكلمك فيها، متفقين؟

لم تجبه ولكن من صمتها بدأ حديثه، تحدث عن نفسه عرفها أنه نقيبٌ بالقوات المسلحة، يعمل بمحافظة السويس... اتصاله بالعميد الشوربجي غيَّر حياته، فبسببه كان هذا الاتصال الخاطئ الذي أَسَرَ إحساسه. أخبرها أنه لا يعلم لماذا ارتاح لها، فقد تكون دميمةً، غبيةً،

أو حتى نرجسية. ولكن عقله لم يفكر في كل هذا، فقط قلبه هو من كان يفكر عندما سمع صوتها. ظلّ يحكي ويحكي حتى مرت ساعة كاملة وهي تستمع إلى تفاصيل حياته العامة، وإلى مشاعره التي يشعر بها تجاهها. انتهى الحديث بينهما، وشعرت هي أنها أمام إنسان صادق، كان من المفترض أن تكون هي المكالمة الأخيرة، ولكنها كانت المكالمة الأولى لمكالمات عديدة أخرى.

***

بعد عدة شهور

يدور في غرفته كالمجنون، سلمى لم تتصل به منذ البارحة، ارتدى ملابسه وذهب إلى الجامعة، ظلّ واقفًا طوال اليوم أمام باب الكلية ولكنها لم تأتِ! مرّ اليوم وهو لا يستطيع النوم، إلى أين ذهبتِ يا سلمى؟ اليوم التالي كذلك كان كسابقه تمامًا، لا اتصالات، وذهب إلى الكلية ولم يجدها، وهو عائد إلى بيته، يفكر ويعتصر مخه، رقم تليفون بيتها لا يرد، ما الذي سيفعله، هل سيظل هكذا إلى الأبد؟! هل حدث شيء ما منه؟ هل حدث شيء ما لها؟ العديد من الأسئلة تتصارع داخل رأسه، ولا خاطر إجابة يمر برأسه، لكنه لن يهدأ، ذهب إلى إدارة الجامعة والتقى أحدَ عاملي النظافة ووضع بيده ورقة بعشرين جنيهًا، نظر إليه عامل النظافة مستفهمًا، فهذا ليس بمالِ صدقةٍ بالتأكيد.

– أنا عايز عنوان حد معايا هنا في الجامعة، وما تقلقش في زيهم لو جبت العنوان.

نظر إليه عامل النظافة بصمت، أشار إليه بالوقوف، وذهب ودخل إلى إحدى الغرف، وعاد.

- ميتين جنيه يا بيه.

لم يفكر وأومأ برأسه.

- اكتب الاسم في ورقة بيضا.

أخرج أحمد ورقةً بيضاء وقلمًا يحمله وشرع يكتب الاسم، كتب سلمى وتوقف، وانعقد حَاجِبَاه فهو لا يعلم من اسمها سوى اسمها الأول سلمى، لاحظ عامل النظافة ارتباكه.

- مالك في ايه؟

- أصلي معرفش غير الاسم الأول بس.

- هه!! لا كده ما ينفعش يا باشا .. معلش.

وتركه عامل النظافة واقفًا وحيدًا، عاد أحمد إلى منزله، والصداع يعتصر رأسه، دخل البيت ودخل مباشرة إلى غرفته، وقعت عيناه على أحد كتب الكلية الخاصة بالترم السابق، لقد كان يذاكر فيه معها، وفجأةً اتسعت عيناه، لقد تذكر الآن، لقد وصفت له عنوانها في إحدى المرات التي كانوا فيها معًا. لقد رسمته له، فتح الكتاب في آخر صفحة، ووجد الرسم، كان غير دقيقٍ. لقد تذكر الآن، لقد كانا يلعبان، أن ترسم له العنوان وعليه أن يخمن المكان، ضحك أحمد، كيف له أن ينسى هذا اليوم!

"كان عندك حق يا سلمى يوم ما قلتي إن ذاكرتي .. زي ذاكرة الأسماك بالظبط"

قالها وضحك، لقد انفرجت أساريره الآن، وبدون أن يفكر، خرج فورًا، وغادة الجالسة أمام التلفاز علامات الدهشة بارزة على وجهها لقد دخل منذ قليل بطيئًا والاكتئاب على وجهه، لم تمر عدة دقائق حتى مرّ خارجًا بسرعة والفرحة تقفز من عينيه، في المرتين كان يمر بها وكأنها غير موجودة.

وصل إلى الشارع الذي به العنوان، دَلَفَهُ وهو يمشي ببطء حسب الرسمة التي معه، رفع الورقة ينظر إليها مرةً أخرى، "بغض النظر عن حبي ليكي يا سلمى بس خطك وحش جدًّا"

المربع الذي في الصورة وضعت فوقه رقم 5 وكان حوله العديد من الشخابيط، إنها مدمنة شخابيط في العادة لا تكتب شيئًا إلا وتبدأ في رسم الدوائر والمربعات من حوله، من المفترض أن هذا هو رقم البناية. ظلّ يمشي وراء الأرقام، حتى وصل إلى رقم خمسة، ووقف أمام البناية، وكان الأمر وكأن صاعقة من الكهرباء قد دبت في قلبه، فالبناية التي يقف أمامها الآن هي بناية مهجورة تمامًا، بدأ تنفسه في التسارع، هناك شيء ما خطأ، إنه العنوان الذي بيده، وهو يقف أمامها الآن ولكن البنايه مهجورة، ولكن الأمر ليس هذا فحسب، بل هناك أمر جلل في هذه البناية. انتزعه من أفكاره رجلٌ عجوز يمر من جانبه، لاحظ وقوفه وتطلعه بالبناية المهجورة.

– أنت يتدور على حاجة معينة؟

- عمارة 5

- ما هي دي اللي أنت واقف قدامها .. بس دي صحابها باعوها ومشيوا من زمان يا ابني.

- من أيام الحاج أحمد الهواري.

اتسعت عينا أحمد، فأحمد الهواري هذا على اسم جده.

- أحمد الهواري مين يا حاج؟

- أحمد الهواري الطيار يا ابني .. الله يرحمه .. دول مشيوا من زمان أوي.

الصدمة تملكت أحمد، إنه فعلًا يقصد جده أحمد الهواري الطيار، عقّب أحمد:

- مش كان عنده ابن اسمه حسين؟

ارتفع حَاجِبَا الرجل:

- الله ينور عليك .. دا أنت تعرفهم بقى .. ما تعرفش حسين فين دلوقتي؟

لم يجبه أحمد، بل أخرج حافظته التي يضع بها بطاقة والده الورقية القديمة، كان يحب هذه البطاقة جدًّا، فيها صورة والده في شبابه، أخرجها وتطلع بها، ووجد العنوان شارع السعادة عمارة رقم 5، التي يقف أمامها بالضبط، جل ما شعر به هو أن نفسه محصورة داخل التيه، لا يدرك أيَّ شيءٍ من أي شيء، تحرك من أمام الرجل، كلّمه

الرجل ولكن أحمد لم يجبه بل تحرك صامتًا، لا يسمع إلا ضجيجَ الأسئلة في رأسه.

***

جالسًا أمام صديقه حسام ي منزله، ممسكًا برأسه، ضمّ حسام شفتيه وكأنه يبحث عن كلام يقوله، ثم تجرأ وقال:

– أنا مش دكتور يا أحمد.

– يا عم أنت في آخر سنة طب .. قل لي بالله عليك آخد أيه اريح بيه دماغي، حاسس إن دماغي هتتفرتك مش فاهم حاجة

– من الآخر كده يا أحمد الشواهد بتقول .. إن ما فيش حاجة اسمها سلمى.

– بتقول أيه؟!

– صدمة موت باباك ومامتك هي اللي عملت فيك كده.

– صدمة أيه يا حسام!! أنا بقولك عايز حاجة عشان اهدى شوية واعرف افكر تقوم تقولي ما فيش حاجة اسمها سلمى.

– هو دا علاجك يا أحمد، كل الموضوع إن باباك ومامتك وحشوك جدًّا ونفسك ترجع تشوفهم.. عقلك الباطن استرجع معلومات أنت ماكنتش متخيل نفسك إنك تعرفها.

– أنت أكيد كلامك غلط يا حسام!

– هو البيت دا جدك عزل منه امتى هو وباباك؟

– من زمان جدًّا تقريبًا قبل ما اتولد كمان.. فاكر زمان إنهم مرة كانوا اتكلموا عنه وقالوا إنهم عزلوا منه أول ما بابا ما اتجوز.

– طب وفي حد شاف سلمى دي أو يعرفها.. في زملاء معاكوا تاني في الشلة في الكلية؟

– لا .. كنا أنا وهي بس .. عشان هي قالتلى إنها منقولة من كلية في الخليج، فما تعرفش حد في الجامعة .. هي نزلت مصر وعايشة مع جدها دلوقتي، وباقي عليتها في الإمارات.

– غادة شافتها أو تعرفها لو كلمتها؟

– لا طبعًا، أنت عايز غادة تقول عليًّا أيه!

– معلش بس أحب أقولك التحليل المبدئي بيقول إن كل دا من وحي خيالك .. وما تخدش كلامي ثقة، روح اسأل حد تاني يكون متخصص، بس دا رأيي بعد اللي أنت حكيته.

قام أحمد والغضب واضح على ملامحه، وهو يقول:

– أكيد هروح اسأل حد تاني بيفهم.

وتركه وذهب.

***

غادة على الهاتف والصوت يسألها من الجانب الآخر:

– إزيك يا غادة .. عاملة أيه؟

– الحمد لله.

– انتوا غيرتوا رقم التليفون ليه؟

– مش احنا دول بتوع التليفونات قالوا إن الرقم بتاعنا هيتغير عشان حاجات عندهم، المهم أنت عامل أيه؟

– مش مرتاح.

– ليه بس؟

– مش عارف ازاي بتسألي سؤال زي دا!!! بقالنا كتير جدًا بنتكلم في التليفون، وتقريبا معرفش حاجة عنك .. في حين أنتِ تعرفي كل حاجة عنس، ومش عني بس، دا عني وعن صحابي والكتيبة من أول قائد الكتيبة حتى هيثم الواد اللي واقف على بوابة الكتيبة.

– مش أوي كده يعني!

– لأ .. أوي طبعًا أنتِ تعرفي كل حاجة عني، أنتِ بقيتي تعرفي أنا بحب أيه .. وبكره أيه .. بَحلم بأيه .. بفكر في أيه! في حَين أنا معرفش عنك إلا أقل القليل .. دا أنا الحمد لله إن أنا عارف اسمك! لا اعرف أنتِ ساكنة فين، ولا بتعملي ايه، ما عدا موضوع الرسم، لكن ما عرفَش أنتِ شغالة فين، بتفكري في أيه .. من الآخر أنا بالنسبة ليكي أيه؟!

– معلش يا مازن بس احنا متفقين .. ما ندخلش في تفاصيل حد فينا إلا برضا اللي عايز يتكلم.. اللي عايز يفضفض براحته يفضفض.. كل واحد يقول اللي عايز يقوله، وبعدين أنا بجد عايزة أقولك حاجة، أنا بحكيلك اللي ما فيش حد يعرفه، أنا بحكيلك أنا بفكر في أيه.. بحلم بأيه .. بزعل من أيه .. بحكيلك اللي جوايا اللي

عمرى ما حكيته لأي حد، بس نفسك تعرف الحاجات العادية اللي أي حد ممكن يكون يعرفها عني؟

– على فكرة أنتِ عارفة كويس أن أنا أقدر أجيب عنوانك، وأنتِ عارفة كويس.

– مازن .. احنا متفقين متخلنيش ازعل منك بجد.. وبعدين يا أخي مش ممكن تتصدم وتلاقيني واحدة تخينة ما بتعرفش توطي تجيب حاجة من الأرض من كتر ما هي تخيبنة، أو عندي حَوَل ولابسة نضارة كعب كوباية.

ضحك مازن وغادة وأكملا مكالمتهما كالعادة فيما تختلج به الصدور ولا تراه العيون.

***

ارتدت غادة أفضل فستان عندها، فاليوم فرح صديقتها تالية، ستقيم فرحها في الهواء الطلق في وقت العصر تقريبًا في أحد أفخم فنادق القاهرة. لأول مرة سيراها العديدون منذ حادثة وفاة والديها، عليها أن تظهر بمظهر لائق، لا تريد أن ترى نظرات الشفقة في عيونهم.

كان الفرح مكتظًا بالمعازيم، الجميع يرقص والأغاني تلقي صداها داخل الجميع، الضحكة على كافة الوجوه، وجاء موعد إلقاء بوكيه الورد الخاص بالعروسة، لترى أيًا من صديقاها، أنها ستكون الأوفر حظًا في الزواج. دارت العروسة على عقبيها وأعطتهم ظهرها، لم تكن غادة تريد الوقوف بين هؤلاء الفتيات الباحثات عن الحظ الأوفر،

ولكنهُنّ دفعنها دفعًا، للوقوف معهن، وبينما هي واقفة، سمعت صوته خلفها، إن هذا الصوت تعرفه عن ظهر قلب، أُذُنها تعرّفت عليه، دقات قلبها تسارعت بشدة، حتى إنها خافت أن تستدير، ولكن جسدها استدار رغمًا عنها، وجدته على مقربة منها بين أصدقائه. مظهره يليق بمظهر ظابط صاعقة بالفعل.. عريض المنكبين، طويل، رشيق، وسيم، رأته يمزح مع أصدقائه وهم يسخرون من الفتيات الواقفات في انتظار البوكيه، قفزت البنات من حولها وهي أصبحت كالصنم تُحدِّق فيه، سمعته يمزح مع أحد أصدقائه:

- احنا كنا المفروض جبنا الواد هيثم اللي واقف على البوابة كان طار من فوقيهم وجاب البوكيه.

وأخذ يضحك على كلامه هو ومَن حوله، وجدت نفسها ستفضح ذاتها، فعادت تستدير، ودقات قلبها لا تزال مسرعة، حبات العرق بدأت في الانهمار على جبهتها.

- أنتِ تعبانة ولا حاجة يا غادة؟

سألتها إحدى صديقاتها التي بجانبها.

- لأ .. لأ .. بس أنا همشي معلش .. سلام.

***

عادت غادة وهي تفكر في الذى حدث اليوم، "يا ربي! يا ربي!"، لا تستطيع أن تزيح صورته من رأسها. دخلت المنزل، وجدت حذاء أحمد بجانب الباب، "إذن.. فهو في المنزل". بحثت عنه فلم تجده،

ذهبت إلى غرفته، طرقت الباب ولكن لم يجبها أحد، فتحت الباب بهدوء، فوجدت أحمد جالسًا على سريره في الظلام، اقتربت منه

– أنت صاحي يا أحمد؟

لم يجبها، اقتربت منه أكثر، فوجدته فاتح العينين!

– مالك يا أحمد، في ايه؟ شكلك مخوفني!

– ما فيش.

– مافيش ازاي! أنت متغير بقالك أكتر من شهر .. بس الموضوع كده بقى صعب أوي.

– قلتلك ما فيش.

اقتربت منه أكثر بالرغم من صياحه ولَفّت ذراعيها حوله:

– مالك يا أحمد؟ .. لو في حاجة مزعلاك احكيلي.

لم يحتمل أحمد وشرع في البكاء المكتوم على كتفها، وحكى لها قصته مع سلمى.

***

في اليوم التالي، غادة على الهاتف مع مازن.

– على فكرة أنا كنت عندكوا النهاردة في القاهرة.

توقع منها أن تُفاجأ، ولكنه وجدها صامتةً.

– غادة؟

- ما أنا عارفة .. كنت في فرح خالد وتالية.

وهنا كانت المفاجأة من نصيبه هو، ودّت غادة لو ترى ملامحه، يبدو أنه لم يجد ما يقوله، سمعت صوته يتنهد بحرارة، وقال ولكن بصوت متغيِّرٍ يشوبه الحزن والأسى:

- ليه كده يا غادة، ما دام كنتي هناك وعرفتيني .. ما قلتليش ليه!! معرفتنيش ليه؟!

- مش عارفة! بس ما قدرتش .. واحنا متفقين.

قاطعها هو وصوته مليئ بالقسوة.

- اتفاق ايه يا غادة!! ارحميني بقى، دا ربنا جمع ما بينا وأنتي لسه بتكلمي في اتفاق! من الآخر يا غادة النظام دا ما ينفعش، هينفع ناخد الخطوة التانية في علاقتنا ولا هتفضلي كده مستخبية.

لم يكن مازن يدري بالصراع الذى يدور في أعماقها.

كيف تحب والحب مليئ بالعذاب والفراق والمشاكل؟!

كيف تحب ومن أحبتهم بشدة فارقوها من غير رجعة؟!

كيف تحب وأخوها الذي لا تدري إن كانت حبيبته هذه حقيقية أم خيالية ولكنها مع ذلك فطرت قلبه؟!

إنها خائفة حتى النخاع.

لم يجد مازن منها جوابًا، فقال بنبرة فاقدِ الأمل:

- سلام يا غادة.

وأغلق السماعة.

***

جالسةً أمام لوحتها التي لا تزال تحاول إكمالها، لقد انتهت من لوحاتٍ أخرى، ولكن هذه اللوحة ما زلت لا تستطيع الانتهاء منها! جلستً أمامها بصمت، كانت تفكر في أحمد، يجب عرضه على دكتور نفسي، فالأمر تخطّى كلَّ الحدود، وأحمد صار يشك في كل ما حوله، إنه يشعر أنه مجنون. انتزعها من تفكيرها جرسُ الباب، قامت وفتحت الباب ووجدت أمامها فتاة جميلةَ المُحيّا، سألتها:

- أهلًا وسهلًا.

- أهلًا بحضرتك .. أنا كنت بسأل على أستاذ أحمد.

تسمّرت غادة ولم تجبها وسألتها بصوتٍ خافت:

- هو أنت سلمى؟!

ابتسمت الفتاة:

- أيوة.

- اتفضلي .. اتفضلي.

دخلت سلمى، وانتظرت في حجرة الضيوف ودخلت غادة ونادت على أحمد، الذي خرج وهو لا يعلم من الذي يريده. وجدها أمامه، انقشع الظلام الذي كان على عينيه وتحوّل نورًا لرؤياها،

تركتهم غادة وهي تشعر بسعادة لا توصف لرؤيتها أحمد والسعادة والفرحة تنتفض في كل حركة من حركاته.

لم تنتظر سلمى استفسارات أحمد. حكت له كيف وهي عائدة إلى بيتها في ذلك اليوم، وجدت جدّها قد توفي، وجدته غارقًا في دمائه، كانت أنفه مصدرَ هذه الدماء، لم تستطع أن تحتمل سلمى المنظر، وجاء والدها من الإمارات في نفس اليوم، وتمت إجراءات الدفن والجنازة سريعًا، وعادت مع والدها إلى الامارات خاصةً وأن حالتها كانت صعبة جدًّا. وبعد مرور بعض الوقت عليها هناك، حاولت هي الاتصال بأحمد، ولكن الرقم كان مَن يرد عليه أناسٌ آخرين.

كان أحمد يومئ برأسه وهو جاحظ العين قليلًا، غير مصدق أنها جالسة أمامه، ولولا أن غادة رأتها لما صدّق أنها هنا، وبدون أيّة مقدمات تركها وعاد وبيده الورقة التي عليها رسم العنوان، مدّ يدَه بها، التقطتها هي مستفهمة.

- مش هو دا عنوانك؟

نظرت بالورقة ثم عادت تنظر إليه وهي تومئ بالإيجاب.

- أنا رحت هناك ولاقيت عمارة مهجورة.

- أنت تقصد العمارة الفاضية اللي جنبينا.

- هو مش أنتوا عمارة رقم 5.

- لأ .. احنا 5 أ، اللي جنبينا هي اللي 5.

عاد أحمد ينظر للورقة ولاحظ حرف الألف الذي بجانب رقم 5، ولكنه كان غير واضح، وظاهر على أنه شخبطة من ضمن الخطوط العديدة التي في ورقة العنوان.

صمتَ وهو غيرُ مصدقٍ لهذا الخطأ الفادح الصغير، ثم عاد وسألها:

– وازاي عرفت عنوان البيت؟

ضحكت سلمى وهي تقول: – مافيش رحت الجامعة وفيه واحد بتاع نضافة هناك اديته فلوس واسمك وجابلي عنوانك.

ضحك أحمد، وعادا يتحدثانِ عن كل تفصيلة ولو صغيرة مرّت خلال الأيام السابقة.

***

كانت ضحكاهم تصل إليها وهي جالسة في الخارج أمام لوحتها، تفكر في كل ما حدث. شعرت بأن تريد منها أن تكملها، تريد منها أن تعود، وتزرع الألوان في صفحتها، وكأنها على شوق، وكأنه كان هناك ما يمنعها، وكأنها كسرت القيد، اندفعت صوب التليفون، نظرت صوب الأجندة المعلقة على الحائط، باحثة عن تاريخ اليوم.

"النهاردة مازن إجازة وموجود في البيت"

طلبت نمرة تليفون مترله، أتاها صوت والدته، ويبدو أن والدته كانت هي الأخرى على شوق لسماع صوتها.

– ازيك .. ازيك .. الحمد لله إنك اتصلتي .. خدي كلميه وشوفي ماله .. مش على بعضه بقاله يومين!

جاءها صوته: أيوة.

– ازيك؟

– الحمد لله .. عايزة أيه؟!

– عايزة احكيلك..

– تحكيلي أيه؟

– احكيلك على كل حاجة..

***

الفهرس

